عصام الدين حفني ناصف



المسيح في مفهوم معاصر

دار الطليعة - بيرو

عِصَام الدين حفني ناصِف

المسيحُ في مفهومٍ معاصِرٍ



دارُ الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

ص.ب ۱۱۱۸۱۳
تلفون ٣٠٩٤٧٠
٣١٤٦٥٩

الطبعة الاولى
آب (اغسطس) ۱۹۷۹

- ١ -

الناسوت واللاهوت

لم يبلغ اختلاف الناس في كنه امريء ما بلغ في يسوع المسيح ، في اصله ومنشأه واقواله واعماله وجلائل الاحداث التي اقترنت بها كل مرحلة من مراحل حياته ، فقد تضاربت في أمره الآراء واصطرعت حوله الاحزاب ، فزعم فريق من مواطنيه(١) انه اله ابن إله ، وقال آخرون كلا بل هو انسان ابن انسان . لم يقنع هؤلاء به نبيا كمن سلف من الانبياء ، وربأ اولئك بأنفسهم عن ان يسبغوا عليه ثوب الألوهية الفضفاض . نقم الأولون من الآخرين انهم هووا بأحد الآلهة الى غمار الناس وزرى الاخرون على الاولين انهم سموا بأحد الناس الى مرتبة الآلهة ، وهكذا ذهب اولئك بإنسانية الرجل وابى هؤلاء ان يبوئوه عرش الألوهية . وجاءت طائفة من المفكرين المحدثين تبحث في شأن هذا الكائن

---

١ ـ أوطن بالوطن وبالمكان : اقام به وهو اعلى به من وطن به . أوطن البلد: اتخذه وطنا فهو موطن .

الفذ الذي ليس بإله وليس بانسان فلم يجدوا فيه غير أسطورة مرددة ، ورب افراط عاقبته التفريط .

ولقد اصاب كبد الحقيقة من أقر بتاريخية يسوع ولم يكن القائلون بأسطوريته من المبطلين ، ذلك ان هنالك يسوعين اثنين لا واحدا (٢) ، وهما لا يشتركان في شيء سوى التسمية : احدهما نبي : كمن خلوا قبله من أنبياء بني اسرائيل والآخر إله كمثل من كانوا يعاصرونه من آلهة الوثنيين ، وشتان بين هذا وذاك .

وقد استعرت الفتنة بين شيعتيهما حقبة من الدهر ثم خبا ضرامها ، وتواطأ الفريقان على ان يجحد كل منهما نصف ما كان يعده حقيقة ساطعة وان يؤمن بنصف ما كان يقول مؤكدا انه أكذوبة فاضحة ، فزاوجا بين الشخصيتين المختلفتين ومزجا بين الطبيعتين المتنافرتين وولدا من هذا المزاج مسيحا مبتكرا ذا طبيعة مزدوجة يلتقي فيها اللاهوت بالناسوت ، وهو راي اصلح ما يكون للذياد عن أنصاف الآلهة القدامى ، وكان عبادهم يعتقدون انهم يجمعون بين خصائص الآلهة والبشر على حد سواء .

لقد عبر صانعو المسيحية الشقة بين الإله والانسان باجماعهم رايهم على ان الإله والانسان اتحدا في يسوع . لقد كان الناس والآلهة في غابر الزمان اشباها فما أيسر ان يلتبس الامر على المرء فيخلط بينهم . لقد طبعوا جميعا على غرار (٣) واحد ، فليس عسيرا ان يتحول الإله انسانا وان يحور الانسان إلها . ولهذا صادف الذين ترجموا ليسوع سهولة ويسرا في ان يوحدوا في

---

٢ ـ «فانه ان كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به ...» (٢ كورنثوس ١١ : ٤) .

٣ ـ الغرار : المثال الذي تضرب عليه النصال لتصلح .

شخصه بين الخالق والمخلوق ، غير فاطنين الى انه اذا استحال الله انسانا او

«وجد في الهيئة كإنسان» (فيلبي ٢ : ٨) .

اصبحت له سمات وقسمات خلقيـــة تنم عن خصائص عقليـة وصفات خلقية معلومة ، وذلك لما هو معروف من تماثل الخصال عند تماثل الاشكال ، غير مدركين انهم بهذا الخلط بين الخالق والمخلوق قد مزجوا النقص بالكمال وادمجوا الضعف في القـوة واختزلوا هذا الحال في كل شيء الى ما يقرب من لاشيء ، وانهم قد انشبوا المحدود في غير المحدود اذ ضغطوا هذا الذي لا تحيط به حدود وزجوا به في هيكل الجسم البشري الضئيل ، وانهـم هبطوا بحاكم الكون من فوق عرشه الرفيع ليضجعوه في مذود وضيع مع بهيمة خسيسة من ذوات الاربع ، ولفوا القهار الذي يطوي السماوات طي السجل للكتاب (٤) في قماط ، واسفــوا بالقدير من ذروة السماء الى حضيض الارض في احشاء امراة حملت به على وهن وولدته بعون من قابلة ، وتركوه يعول وينشج ويرضع ويبول على نفسه ثم يحبو ويتعثر في مشيته ، وعرضوا هذا الكائن البهي المهيب لأبصار الالوف من الارذال يقتحمونه (٥)

---

٤ ـ جاء في تفسير الجلالين للاية ١٠٤ من سورة الانبياء : «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ان السجل اسم ملك والكتاب صحيفة ابن آدم عند موته واللامزائدة ، او السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على . وفي قراءة «للكتب» جمعا» . وفي تفسير محمد فريد وجدي «واذكر يوم نطوي السماء كطي الدفتر على ما حواه من الكتب لعدم الفائدة من وجودها بعد فناء بني آدم وانتقالهم للاخرة وقد كانت خاصة بهم» .

٥ ـ اقتحم الرجل : احتقره . اقتحمته عيني : ازدرته .

بعيونهم وينظرون اليه عن عرض (٦) زراية عليه واستخفافا بأمره وهو الذي لو تكشّف لامريء لملكته الرهبة وتولته الرعدة فلم تزل به حتى تخمد حياته .

«لان الانسان لا يراني ويعيش» (خروج ٣٣ : ٢٠) .

وطردوا هذا الذي .

«كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يوحنا ١ : ٣) .

والذي يملك من العوالم ما يبذّ في كثرته عدد الرمل والحصى ، وشردوه حتى اصبح لا يعرف اين يسند راسه .

«للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار . واما ابن الانسان فليس له اين يسند راسه» (متى ٨ : ١٩ — ٢٠) .

وجعلوا هذا الذي لا يلحقه التغير يتضور (٧) غرثان (٨) صديان (٩) ، وسلبوا هذا القادر على كل شيء مقدرته على ان يقي نفسه والركل والبصق في وجهه وان يجنبها ما ركبوه به من صنوف السخرية والوان النكال ،

وازهقوا أنفاسه بخيانة يهودي زري من خليقته وجعلوه يسلم نفسه الى شانئيه (١٠) ويموت أبشع ميتة ليهدىء من حنق الله اي من سخيمة نفسه ، وبذلك انتحر بحافز من رغبته في الانتقام فكان أشبه شيء بصاحب دين يؤدي الدين لنفسه لان

---

٦ — اي من جانب .

٧ — تضور : تلوى وصاح من وجع الضرب او الجوع ونحوهما .

٨ — غرث (بالكسر) : جاع .

٩ — صدى : اشتد عطشه .

١٠ — شناه : ابغضه ، وقيل بغضا مختلطا بعداوة وسوء خلق .

غريمه (١١) غير راغب في توفيته الحساب ، ثم هو لا يفتأ يذكر هذا الغريم بما عليه .

فيا لها من عقيدة غامضة مشاكلة للحضارة التـــي عاصرت نشأتها قبل الفين من السنين ، طلعت على الناس فلبست عليهم الامور وافقدتهم التمييز بين الخالق والمخلوق وحدرتهم الـــى عبادة الانسان كما يفعل اهل التبت ، لا فرق بين أشياع الملتين الا ان هؤلاء يعبدون الإله الحي المقيم في السماء وأولئك يعبدون الإله الحي المقيم على ظهر الارض . ولو استبدلنـــا باسم اللاما العظيم اسم يسوع المسيح لاستقام الامر ، وما هي الا عبادة الاوثان الحية مزدهرة في كل مكان .

---

١١ ــ غرم : لزمه ما لا يجب عليه ، ويقال غرم الدية والدين : اداهما عن غيره . الغرم (بالضمة) : لزوم نائبة في مال من غير جناية . الغريم : الدائن لانه يلزم عليه الدين و ــ المديون لان الدين لازم له (ضد) و ــ الخصم لانه يصير بالحاحه على خصمه ملازما .

- ٢ -

التثليث والتوحيد

اراد بعض المتدينين بالمسيحية ان يوضح كنهها ويبين عن جوهرها فقال :

«نحن نعبد الأب والابن والروح القدس وكل منهم إله وحده ولكنهم معا ليسوا ثلاثة آلهة بل هم اله واحد . الاب لم يخلق ولم يصنع ولكنه نسل من الآب ، والروح القدس لم تخلق ولم تصنع ولم تولد ولكنها استمرار للآب وللابن . وهؤلاء الثلاثة ليس فيهم احد كان قبل واحد من صاحبيه او بعده وليس فيهم احد اعظم من احد صاحبيه او أهون منه شأنا بل هم جميعا أزليون متساوون» (١) .

---

١ ـ وقد علق بعضهم على ذلك فقال :

لو صح هذا القول لكان المسيح والد نفسه وابن نفسه ، ولكانت امه مريم ـ ويسميها الكاثوليك ام الاله ، وقد حملت بابنها من الاله ـ زوجة ابنها وام زوجها ، ولكان يسوع قد وجد قبل ان يخلق العالم على حين ان امه لم تكن =

وهذه العقيدة القائلة بالوهية الاب والابن تقوم على بعض مغالطات كمساواة الجزء بالكل ، وتنافي طائفة من البدائة المسلمة :

ا ـ فليس من المستطاع ان يكون ثم كائنان غير محدودين في آن واحد ، فان انتفاء المحدودية عن احدهما يفيد انه يملأ الكون حتى يكظه فلا يدع فيه مجالا للكائن الآخر ، فاذا كان الأقنوم (اي الشخص) الاول في الثالوث هو الإله المطلق غير المحدود لم يكن الاقنوم الثاني (وهو يسوع عند المسيحيين وكرشنا عند الهندوس وساكيا عند البوذيين وهلم جرا) كذلك ، وإلا لكان ثم الهان مطلقان غير محدودين.

أما القول باتحاد الأقنومين الاول والثاني . فهو ينفي الألوهية عن كليهما ، لان هذا الاتحاد بينهما يغير الحالة التي كان عليها كل منهما من قبل فيصبح اكثر مما كان او أقل وهذا ينفي عنه عدم

= على ظهر البسيطة الا منذ عشرين قرنا خلت . وقد انحدر هذا الكائن الازلي من صلب داود من طريق يوسف الذي لم يكن والده .

لقد نسل الابن من الاب ولكنه كان موجودا قبل ان ينسله اذ هو قديم قدمه ، اما الروح القدس فصادر عنهما ولكنه مع ذلك قديم قدمهما ومساو لهما . وقد ظل الاب وحيدا بعد ان نسل ابنه وبعد ان صدر الروح القدس عنه هو وابنه ، ذلك انه لم يكن هناك قط ولن يكون ثم ابدا غير إله واحد .

انهم ثلاثة كائنات كل منهم مساو وحده للثلاثة معا ، ففي جدول الضرب الالهي وفي أصول الجمع والطرح السماوية ان :

١ = ٣ٌ
٣ × ١ = ١
٣ – ٢ = ٣
٢ + ١ = ١

المحدودية إما في حالته الاولى واما في حالته الاخيرة ومن ثم يبطل ان يكون إلها .

ولا غناء في القول بأن كل منهما جزء لا يتم بغير الآخر ، ذلك بأنه اذا كان الجزء الاول كلي الوجود أي حاضرا في كل مكان كما هو مسلم به فيما يتصل بالاب فان الجزء الثاني وهو الابن لا يمكن ان يكون كذلك ، وإذن فما هو بإله .

٢ ـ وليس يتأتى ان يشغل كائنان اثنان حيز واحد منهما ، بل لا بد ان يتراجع احدهما ليفسح للآخر ، بيد انه لن يجد حيزا يتراجع اليه ما لم ينقطع عن ان يكون حالا في كل مكان ، اي ما لم يكف عن ان يكون إلها .

٣ ـ وليس يتسنى للشيء الاصغر ان يحتوي الاكبر، فيوضع لتران من الماء ـ مثلا ـ في اناء يتسع للتر واحد ، ولهذا فليس من المتيسر ان يحتوي الجسد البشري المحدود روحا غير محدودة. انذلك اشبه شيء بوضعهذا الكوكب الارضي ـ وليس نموذجه ـ في كرة ارضية مما يباع عند الوراقين .

وليس في نيتنا ان نعرض طويلا لهذا الجانب من البحث ، فاننا بكتابة هذا المبحث لم نقصد الى نقض ولم نعمد الى تفنيد ولكنا ابتغينا بما نكتب وجه الكشف عن الاحداث والملابسات التاريخية التي صاحبت نشوء المسيحية فخلعت عليها ثياب الوثنية ، وهذا يقتضينا ان نعرف كل ما نستطيع التعرف اليه من اسرار العقائد الوثنية والالمام بآلام اليهود وآمالهم في الوقت الذي صنعت فيه المسيحية .

- ٣ -

انبياء بني اسرائيل

وكانت الوشائج بين يهوه وانبيائه في غابر الزمان وثيقة العرى وطيدة الاركان .

ومن ذلك ما تقصه علينا التوراة من ان الله اصطحب اثنين من ملائكته وشخص بهم الى ابراهيم فأكرم وفادتهم واوسع قراهم ، فبشّره الرب بمولد ابنه اسحق ثم انهى اليه انه قد عيل صبره بإزاء ما يأتيه قوم لوط في بلدة سدوم وانه اعتزم إهلاك تلك البلدة بمن فيها بعد ان يخرج منها لوطا وأسرته .

الاصحاح ١٨ سفر التكوين	سورة الذاريات
١ ــ وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار .	٢٤ ــ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين .
٢ ــ فرفع عينيه ونظر واذا	٢٥ ــ اذ دخلوا عليه فقالوا

ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض . وقال يا سيد (١) ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك.	سلاما قال سلام قوم منكرون .
٧ ـ ثم ركض ابراهيم الى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام فأسرع ليعمله .	٢٦ ـ فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين .
٨ ـ ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم . واذ كان هو واقفا تحت الشجرة اكلوا .	٢٧ ـ فقربه اليهم قال الا تأكلون .
١٠ ـ ... ويكون لسارة امرأتك ابن .	٢٨ ـ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم .
١٢ ـ فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ .	٢٩ ـ فأقبلت امرأته في صرة (٢) فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم .
١٣ ـ قال الرب ... ١٤ ـ هل يستحيل على الرب شيء .	٣٠ ـ قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم .

---

١ ـ يقابلها في الترجمة الانجليزية my Lord وكلمة لورد هي التي ترجمت في الآيات ١ و١٣ و١٤ و١٧ بكلمة الرب .

٢ ـ اي في صيحة ، من الصرير وهو التصويت .

١٧ ـ فقال الرب هل أخفي عن ابراهيم ما انا فاعله.

٢٠ ـ وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا .

٢٢ ـ وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما امام الرب .

الاصحاح ١٩

١ ـ فجاء الملاكان الى سدوم مساء .

١٦ ـ ولما توانى امسك الملاكان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه واخرجاه ووضعاه خارج المدينة .

٣١ ـ قال فما خطبكم ايها المرسلون .

٣٢ ـ قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين .

٣٣ ـ لنرسل عليهم حجارة من طين .

٣٥ ـ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين .

٣٦ ـ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين .

ونرى من هذه القصة ومن سائر قصص نوح وابراهيم وموسى الخ الخ في التوراة :

١ ـ ان يهوه كان يتراءى لانبيائه بذاته في البرية او على قوارع الطرق ويجاذبهم أطراف الحديث .

٢ ـ وانه كان يختلف اليهم في بيوتهم ويصيب على موائدهم ما لذ وطاب من الطعام .

«وبنى نوح مذبحات. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا» (تكوين ٩ : ٢٠ ـ ٢١) .

٣ ـ وكان يبذل لهم الوعود ويقطع على نفسه العهود ويألو على نفسه الا يسيء الى الارض ومن عليها .

«... وقال الرب في قلبه لا أعود العن الارض ايضا من اجل الانسان لان تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته . ولا أعود ايضا اميت كل حي كما فعلت» ... (تكوين ٨ : ٢١) .

«وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض . فيكون متى انشر سحابا على الارض وتظهر القوس في السحاب . اني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد . فلا تكون ايضا المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد » (تكوين ٨ : ١٣ ـ ١٥) .

«في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات» (تكوين ١٥ : ١٨) .

«واقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهدا أبديا . لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل ارض كنعان ملكا أبديا . وأكون إلههم» (تكوين ١٧ : ٧ ـ ٨) .

٤ ـ وانه كان يدلي اليهم بما بيَّت عليه النية في جسام الامور فيجادلونه في صواب ما اعتزم ويشيرون عليه بالعدول عما هم بانفاذه .

«١٧ـ فقال الرب هل أخفي عن ابراهيم ما انا فاعله .

٢٠ ـ وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جدا .

٢٣ ـ فتقدم ابراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم .

٢٦ ـ فقال الرب ان وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة فاني أصفح عن المكان كله من اجلهم .

٣٣ ــ وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم الى مكانه» (تكوين ١٨ : ١٧ ــ ٣٣) .

٥ ــ ويدعوهم الى ملاقاته فيصعدون اليه فوق جبله الخاص حيث يملي عليهم شريعته ويعهد اليهم بوصاياه .

«واما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل ... وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة» (خروج ١٩ : ٣ ــ ٦) .

«ونزل الرب على جبل سيناء الى راس الجبل . ودعا الله موسى الى راس الجبل فصعد موسى» (خروج ١٩ : ٢٠) .

«ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : ... » (خروج ٢٠ : ١) .

٦ ــ ويمن عليهم بتبديل اسمائهم ، فقد استبدل اسم ابراهيم بصيغة الجمع باسم أبرام ، للدلالة على ان بني اسرائيل سيملأون رحاب الارض .

«فلا يدعي اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم لاني أجعلك أبا لجمهور من الامم . واثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما . وملوك منك يخرجون» (تكوين ١٧ : ٥ ــ ٦) .

واستبدل باسم يعقوب اسم اسرائيل تذكرة لما كان بينهما من لقاء وصراع .

«فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تكوين ٣٢ : ٢٨) .

٧ ــ ويخلع عليهم الالقاب المحببة ، فهذا خليل الله .

«فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ودعي خليل الله» (يعقوب ٢ : ٢٣) .

وذاك كليم الله .

ودارت السنون وتتالت القرون واتسعت الاذهان والعيون ، فتقلصت مزاعم المتكهنين والمتنبئين في ظهور الله عيانا واتصاله بهم اتصالا مباشرا في وضح النهار وجعلوا يكثفون بما يسوقون من قصص اتصالهم به في جنح الليل اتصالا غير مباشر في رحاب الاحلام .

وقد مرت ببني اسرائيل ايام كان الاقبال على احتراف مهنة النبوة فيها يزداد فيتضخم عدد الانبياء حتى يبلغ المئات .

«فجمع ملك اسرائيل الانبياء نحو اربع مئة ...»
(١ ملوك ٢٢ : ٦) .

وأوقات أخرى كان الناس فيها يزهدون في سماع الهذر فينقطع الوحي عن الانبياء وتمتنع الاحلام عليهم .

«وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الايام . لم تكن رؤيا كثيرا» (صموئيل ٣ : ١) .

فأما في الفترة التي عاصرت ميلاد يسوع او سبقته بقليل فقد نشط الانبياء من أمثال زكريا ويوحنا (يحيى) وكثرت الاحلام كما نرى في أحاديث الملك السماوي المرسل الى النجار الذي زفت اليه مريم وهي ذات حمل الا وهو يوسف بن يعقوب رقم٢ .

«ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح» (متى ١ : ١٦) .

فان قصة هذا الرجل تحتوي على قصرها وايجازها ٥ أحلام وذلك على حين أن قصة يوسف بن يعقوب رقم ١ (وهو يسبقه بنحو ١٨ قرنا) تحتوي ٦ أحلام :

١ ــ ففي الحلم الاول يطمئن الملك يوسف في الحمل الذي ظهرت أعراضه على السيدة مريم البتول .

«ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب

قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امراتك . لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس» (متى ١ : ٢٠) .

٢ ـ وفي الحلم الثاني أوحي الى المجوس الذين سجدوا للطفل وقدموا له الهدايا ألا يرجعوا الى هيرودس .

«ثم اذ أوحي اليهم في حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى الى كورتهم» (متى ٢ : ١٢) .

٣ ـ وتلقى يوسف انذارا بوجوب الرحيل الى مصر لانقاذ الطفل وامه .

«وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا قم وخذ الصبي وامه واهرب الى مصر ...» (متى ٢ : ١٣) .

٤ ـ ثم تقدم الملك الى يوسف في مصر بأن يعود بالصبي الى بلاده لزوال الخطر الذي كان يتهدد حياته .

«فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا قم وخذ الصبي وأمه واذهب الى ارض اسرائيل» (متى ٢ : ١٩) .

٥ ـ فلما ذهب الى ارض اسرائيل وعلم ان هيرودس قد خلفه احد اولاده على دست الحكم أشفق أن يمسه منه أذى .

ف «أوحى اليه في حلم إنصرف الى نواحي الجليل» (متى ٢ : ٢٢) .

وقصارى القول ان ذلك العهد كان زاخرا بالجم الغفير من الانبياء والمعلمين الدينيين ، ولست أخال احدا يماري في احتمال ان يكون من بينهم امرؤ يدعي يسوع وانه حاول ردحا من الدهر ان يهدي الناس الى سواء السبيل ، فلم يعد ان يكون رجلا من

بني آدم عاش داعيا مغمورا ثم قضى كامدا محسورا ، وعفى الزمان على آثاره فلسنا نعرف اليوم من أمره اكثر من انه ليس هو صاحب تلك الاحداث الاسطورية الخارقة ولا مبتدع تلك التعاليم الوثنية الغامضة التي يسمونها المسيحية ، وانه لا صلة له بتلك السيرة اليسوعية التي تظهرنا عليها الاناجيل .

- ٤ -

المسيح المنتظر

في سنة ٦٣ ق.م دوّخ القائد الروماني بومبي مملكة يهوذا الصغيرة وجبي منها الخراج ، واستذل الرومان اليهود واستخولوهم (١) فأدبرت حالهم وبلغت منهم الروح التراقي (٢) فأقبلوا يتباعثون (٣) على الجهاد وجاد الكثيرون منهم بالمهج والارواح ، حتى اذا ما سبروا غور الرومان وخبروا امرهم وبلوا مرهم أيقنوا ان البون شاسع بين تلك الشعوب الصغيرة الوادعة التي كانوا يغزونها في أعقار دورها بفلسطين وبين الرومان الذين

١ ـ استخولوهم : اتخذوهم خولا (جمع خولى) وهم العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية والماشية .

٢ ـ الترقوة : عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق ، وقيل ، التراقي : أعالي الصدور حينما يترقى النفس. وبلغت الروح التراقي كناية عن مشارفة الموت.

٣ ـ تباعث القوم على كذا : دعا بعضهم بعضا الى عمله ، يقال تواصلوا بالخير وتباعثوا عليه .

يواجهونهم اليوم وادركوا انهم في مناجزتهم هذه الامبراطورية العملاقة انما مثلهم

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ولما أيسوا من الواقع انطلقت تلح عليهم تلك الاماني المخبولة التي طالما طافت بأذهانهم في ايام الهزيمة والاندحار وسنين السبي والعبودية ، ومضوا يتنادون بأن ربهم يهوه قد ضرب عليهم المذلة والخذلان لمعصيتهم اياه وانتهاكهم وصاياه ، فأقصى أملهم أن ينظر الى ما مسهم من هوان وأن يقيم بينهم مسيحا (٤) يزعم

---

٤ ــ المسيح يعني الممسوح ، والمراد به هنا الملك المتوج على يد نبي كبير او كاهن أعظم ، وقد جرى أنبياء اليهود في بعض المناسبات على تكريس من يختارونهم للمناصب السامية بمسحهم بالدهن المقدس . ومن ذلك ان النبي موسى رسم أخاه هرون كاهنا ووقف وظائف الكهانة في بني اسرائيل عليه هو وأبنائه واعد لهم ثيابا خاصة بذلك ومسحهم بالدهن .

«وتلبس هرون أخاك إياها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لي» (خروج ٢٨ : ٤١) .

وأن النبي صمويل مسح شاول (طالوت) ملكا على بني اسرائيل .

«غدا في مثل الان أرسل اليك رجلا من ارض بنيامين فامسحه رئيسا لشعبي اسرائيل ...» (١ صموئيل ٩ : ١٦) .

وأن ايليا (الياس) مسح جملة منهم ملوكا وأنبياء .

«فقال له الرب إذهب راجعا في طريقك الى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على أرام وامسح ياهو بن نمشي ملكا على اسرائيل وامسح إليشع بن شافاط من ابل محول نبيا عوضا عنك . فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذي ينجو من سيف ياهو يقتله اليشع» (١ ملوك ٦٩ : ١٦ ــ ١٧) .

وهكذا أحدث ايليا تلك الانقلابات في آرام (سوريا) وفي اسرائيل واستخلف =

عليهم ويرفع نير الرومان عن كواهلهم ويصلح امورهم ويشب منزلتهم بين الامم .

هذا وقد كان المفروض في باديء الامر ان يكون المسيح ملكا اسرائيليا مقداما ينتضي سيفه وينتزع به الظفر لبني اسرائيل غلابا واغتصابا ، فلما لم يبرز بين اظهرهم من تتوافر له هذه الصفة وتبدو فيه هذه الكفاية قنعوا بأن يأتيهم مسيح ولو كان محجاما لا مقداما :

«ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم . هو ذا ملكك يأتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زكريا ٩ : ٩) .

ولما امتد بهم الزمن ولم يأتيهم المسيح تداخلهم القنوط من ان يكون لهم مخلّص من البشر وطفقت تساور اذهانهم أفكار متيافيزيقية ، فجعلوا يشرئبون الى السماء منتظرين ان يهبط

= ليشع على منصب النبوة ، ثم ولى عنه مصعدا في السماء مستقلا مركبة من نار «وفيما هما يتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد في العاصفة الى السماء» (٢ ملوك ٢ : ١١) .

ولا يزال ملوك بريطانيا الى اليوم يمسحون بالزيت عند تتويجهم .

وقد أطلق الكتاب المقدس لقب «المسيح» على عاهل الفرس الذي هزم مملكة بابل واطلق من كان بها من اسارى اليهود .

«وهكذا يقول الرب لمسيحه كورش ...» (أشعيا ٤٥ : ١) .

هذا ، وقد كان ابناء الشعوب التي لجأ اليها اليهود المشتتون يرقبون الخلاص على ايدي مخلصيهم : المصريون على يدي اوزيريس والسوريون على يدي تموز والفريجيون (في آسيا الصغرى) على يدي اتيس واليونانيون على يدي ديونيسس الخ الخ .

منها ذلك المخلّص ، بيد انه وان يكن سيقدم من السماء فانه سيلابس (٥) الناس على الارض فحق عليه ان يجيء في هيئة البشر ، وخليق به ان ينحدر ـ فيما يتصل بالجسد ـ من سلالة الملك داود ، ذلك البطل الذي لمّ شتات الاسباط ووحدهم وجعلهم شعبا مذكورا، وحبذا ان يولد المسيح في مدينة داود(٦)، وهذا ما عبر عنه بولس فيما بعد بقوله :

«عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات . يسوع المسيح ربنا» (رومية ١ : ٣ ـ ٤) .

وقد آثر السامريون (٧) ان يكون المسيح المنتظر من نسل يوسف بن يعقوب ، اي ان يكون ابنا لذلك الاب الاسطوري الذي تنتمي اليه أسباطهم هم دون سائر الاسباط ، اذ هي في زعمهم تنتسب بغير حق الى اسرائيل . ووضع بعضهم النقط فوق الحروف معلنين ان المخلّص الذي سيبطش بالعدو هو يشوع

---

٥ ـ لابسه : خالطه .

٦ ـ اي «اورشليم» وهو لفظ لو كان عبريا لكان معناه «مدينة السلام» . وقيل ان هذه المدينة كانت قائمة قبل ان يغزو بنو اسرائيل ربوع فلسطين ، واغلب الظن ان هذه التسمية أقدم من هذا الغزو . وقد غيّر الرومان الاسم الى ايليا كابيتولينا ، ثم جاء عبد الملك بن مروان (المتوفي سنة ٨٦ هـ اي ٧٠٥م) فجعله بيت المقدس . وهو الذي بنى قبة الصخرة سنة ٦٨٨ م .

٧ ـ هم شيعة من اليهود امتزجت بالاشوريين وتأثرت بعاداتهم وعقائدهم فانكر سائر اليهود منهم ذلك .

وقد استمسكت هذه الشيعة بشريعة اللاويين وكان كتابها المقدس هو التوراة وحدها دون سائر اسفار العهد القديم .

بطل اليهود وقائدهم الى ارض الميعاد .

وارتأى القوم لهم على الزمن رأيا جديدا يضرب بجذوره في اليهودية والوثنية على السواء ، هو ان المخلّص القادم مما وراء الطبيعة قمين بأن يتحمل من الشقاء مثلما تحملوا وبأن يعاني آلام الصلب ثم ينهض من الموت ليستظهر على الشيطان ويبذل عونه للذين آمنوا فيتم لهم النصر في هذا العالم ثم يحظوا بالسعادة السرمدية في عالم من النور .

وقد نشطت الدعاوة للمسيح المرتقب ، في أوائل القرن الاول على يدي يوحنا المعمدان .

«وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات. فان هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا له طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة» (٨) (متى ٣ : ١ ــ ٣) .

وكان الوقت أصلح ما يكون لبث هذه الدعاوة اذ كان الالف الرابع من عمر الكون ــ في حساب التوراة (٩) ــ قد اكتمل ،

---

٨ ــ وهذا ما جاء في سفر اشعيا :

«صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلا لالهنا . كل وطىء رتفع وكل جبل واكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما» (اشعيا ٤٠ : ٣ ــ ٤) .

٩ ــ يقول قساوسة المسيحية ان الكون خلق سنة ٤٠٠٤ ق.م.

وقد اعتقد كثير من المسيحيين بعد ميلاد المسيح بألف سنة ان الوقت قد ازف لان يعود الى الارض فينصب فيها ميزان العدل ويبطش بالكافرين والشريرين ويظاهر عليهم المؤمنين والصالحين .

هذا ، وفكرة الرجعة اي عودة الميت الى الحياة او عودة المختفي الى =

فحري بالمسيح ان يقدم لتفدية البشر والتكفير عن خطيئـــــة

= الظهور هي في جملتها فكرة يهودية تسربت كغيرها من عقائد اليهود الى عقائد النصارى والمسلمين .

ومن ذلك ما ذكره الطبري ، قال :

«لما توفي رسول الله (ص) قام عمر بن الخطاب فقال :

ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله مات . وأن رسول اللـــــه ـ والله ـ ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع بعدما قيل قد مات. والله ليرجعن رسول الله . فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون ان رسول الله قد مات» .

ويزعم اليهود ان نبيهم ايليا رفع الى السماء كما أسلفنـــا حتى ازفت الساعة نزل الى الارض وأعلى فيها رأيه الحق ونصب ميزان العدل . وكـان من اثر اليهودية في المسيحية ان قال المسيحيون برجعة يسوع المسيح كمهدي في آخر الزمان ليعلي كلمة الحق ويقتص للمؤمنين به من ظالميهم .

وكان للمسيحية التي اختطها اوريجن (المولود في الاسكندرية سنة ١٨٥ م)، ولعقيدة المخلّص الواسعة الانتشار في الشرق القديم ، اكبر الاثر في ذيوع القول بحلول الجزء الالهي في أئمة الشيعة .

وقد انتقلت هذه التعاليم الى البيئة الاسلامية على يد اليهودي اليمني المتسلم عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وقد طوف هذا الخبر في اقطار اسلامية شتى ثم استقر في مصر حيث جعل يتصل بالناقمين على عثمان ليوغر صدورهم عليه ثم سار في ركبهم الى المدينة حيث لقي عثمان مصرعه بأيدي نفر منهم يوم الدار .

زعم ابن السوداء ان روح الله تحل في كل نبي فاذا حان حينه انتقلت منه الى من يليه ، وانها ـ من ثم ـ قد انتقلت من محمد الى علي وانتقلت منه الى اولاده واحفاده وانتقلت اليهم معها الامامة .

ومما ساعد في ترويج هذا المعتقد وفي ذيوع فكرة ظهور المهدي في آخر =

ابيهم آدم .

= الزمان ، تفاقم المظالم التي أوقعهـــا بنو أمية بآل علي ومشايعيـــه ، وفقدان المساواة على زمن الامويين . وقد نشط هؤلاء ، بعد ما دالت دولتهـم وانهارت آمالهم في الخلافة ، يبثون هذا المعتقد بين الناس حتى لا يقنطوا من عودة السلطان اليهم فينفضوا عنهم .

وقد أحسن العباسيون استغلال ضيق الناس بهذه المظالم وحبهم لآل البيت في تقويض الدولة الاموية ، فلما ولوا الحكم انقلبوا على أعقابهم وكانوا أقسى على آل علي من الامويين ، وكان ذلك مما زاد الشيعة استمساكا بعقيـــدة المهدي .

ومن أمهات فرق الشيعة فرقة الاثني عشرية وعندها ان عدد الأئمة اثنا عشر وان الامام الثاني عشر هو المهدي المنتظر . وهؤلاء هم أئمة الشيعة :

١ ـ امير المؤمنين علي المرتضى .
٢ ـ ولده الحسن المجتبي .
٣ ـ اخوه الحسين الشهيد .
٤ ـ ابنه السجاد علي زين العابدين .
٥ ـ ابنه محمد الباقر (لقب بذلك لتبقره في العلم اي توسعه فيه) .
٦ ـ ولده جعفر الصادق (لقب بذلك لصدقه في القول) وقد عين جعفر ابنه الاكبر اسماعيل خلفا له ، ثم لقيه مرة مخمورا فنزع عنـــه الامامة وخص بها ابنه الثاني موسى .
٧ ـ موسى الكاظم .
٨ ـ علي الرضا .
٩ ـ محمد التقي .
١٠ ـ علي النقي .
١١ ـ الزكي حسن العسكري (نسبة الى العسكر وهي مدينة سر من رأي) .
١٢ ـ الحجة محمد المهدي .
=

وقد قدمت الاناجيل الينا يوحنا (١٠) هذا في صورة امرىء

= وقد شهدت قابلته بأنها سمعته حين نزل من بطن امه يتلو القرآن . وقد اختفى سنة ٢٦٥ هـ وهو ابن ثماني سنين ، زعموا انه دخل سردابا في الحلة القريبة من بغداد ولم يعد فهم ينتظرونه الى الان ويقال انهم يقفون كل ليلة في انتظاره عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة .

وثم من يقول بأن محمدا بن الحسن هذا شخص مزعوم وان اباه مـات غير معقب .

وعندما نزع جعفر الصادق الامامة من ابنه الاكبر اسماعيل وجعلها في ابنه الثاني ، أنكر ذلك عليه بعض شيعته محتجين بأن الائمة معصومون وبأنهم يأتون بترتيب إلهي مقدس فلا يجوز ان تنزع عنهم الامامة . وعندهم ان الامامة قد انتقلت من اسماعيل عند وفاته قبل ابيه بالمدينة سنة ١٤٣ هـ الى محمد المكتوم وان محمدا هذا هو اول الائمة المستورين الذين تفرقوا في البلاد مختفين لمـا لحقهم من الاضطهادات السياسية . وبذلك نشأت فرقة الاسماعيلية وهي من اوسع فرق الشيعة انتشارا وبخاصة في الهند وفارس .

وللاسماعيليين دعوة سرية فلسفية إلحادية تشبه الدعوة التي كان يبثها عبد الله بن ميمون تلميذ جعفر الصادق والتي هيأت السبيل لثورة القرامطة الاباحية . وقد جروا على مساءلة أشياعهم اسئلة تبلبل أذهانهم وتقلق نفوسهم، منها :

لمَ كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟

ما معنى رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ؟

ما معنى الكاتبين الحافظين ؟ اخاف الله ان نكابره ونجاحده فأقام علينا الشهود وقيد ذلك بالكتابة في القراطيس ؟

كيف يصح تبديل جلد مذنب في جهنم بجلد لم يذنب حتى يعذب ؟

ما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام ؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟

اين ارواح الناس ؟ وما الفرق بين حياة الانسان وحياة البهائم ؟ وما =

زاهد يجوب برية اليهودية ويجوس خلال بلدانها مرتديا مسحا (١١) من وبر الإبل مقتاتا بما يلقى في طريقه من جراد وعسل بري ، يعظ الناس فيعنف بهم وينذرهم بالويل والثبور .

«يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي» (لوقا ٣ : ٧) .

وقد أسهب يوسفس في تبيان مأساة هذا النبي فوصفه بأنه رجل متهوس ملكت عليه لبه فكرة المسيح المخلّص فجعل يلهج (١٢) بذكره وداب يبشر بمقدمه ، ينثر القول في هذا المعنى ويؤكد مقالته ويردد ما يؤكده حتى ضج هيرودس واستفرغ

= الشياطين واين مستقرهم ؟

ما يأجوج ومأجوج ؟ وما دابة الارض ؟ ورؤوس الشياطين ؟

وما الشجرة الملعونة في القرآن وما شجرة الزقوم في الجحيم ؟

ما معنى «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» ؟

وما سبعة ابواب للنار وثمانية ابواب للجنة ؟ ولمَ جعلت السموات سبعا والارض سبعا ؟ ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ؟

ما معنى قول الرسول : خلقت حواء من ضلع آدم ؟ ولمَ جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد اسنانه كذا ؟

(مستخلص من كتاب «المهدية في الاسلام»
بقلم سعد محمد حسن)

١٠ ــ ويسميه المسلمون بالنبي يحيى . ويرى بعضهم ان اسمه (Joannes) الذي لم نجعل له من قبل سميا مشتق من اسم (Oannes) إله السمك عند البابليين .

١١ ــ المسح (بالكسر) : الكساء من شعر كثوب الراهب .

١٢ ــ لهج بالامر : أولع به فثابر عليه واعتاده .

صبره فلم يجد ما يقم (١٣) به صاحب هذا النشاط المخبول غير البطش به قبل ان تعظم شرته فيثيرها فتنة في البلاد .

وهكذا مات انسان حقيقي في سبيل كائن أسطوري .

وقد كانت صيحة يوحنا بأن المسيح المرتقب قد أظلهم (١٤) عهده ، ودعوته الناس الى التهيؤ لاستقباله تنطويان كلتاهما على دعوتين اخريين قصاراهما :

١ ـ انهاء الاستعمار الروماني لبلادهم ومناهضة جيش الاحتلال واجلائه عن البلاد عنوة .

٢ ـ الاطاحة بالاسرة الحاكمة وفسح الطريق الى العرش ليتربع فوقه الملك القادم سليل داود مكان الملك القائم سليل بيت هيرود .

وانها لاثارة لفتنة جرى الملوك على اخماد امثالها واخذ من يتولون كبرها (١٥) اخذا وبيلا .

لقد قتل يوحنا اذن بوصفه مهيجا ثوريا (١٦) وهذا ما يسبل

---

١٣ ـ وقم الدابة : جذب عنانها لتقف . وقم الرجل : قهره وأذله ورده عن حاجته اقبح الرد وحزنه أشد الحزن .

١٤ ـ أظل الشيء فلانا : دنا منه وأقبل عليه ، يقال اظل الشهر وأظل الشتاء واظلكم فلان .

١٥ ـ الكبر : الاثم الكبير . وفي التنزيل «والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم» تولى كبره أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض في حديث الافك .

١٦ ـ من المعتقد ان المتن الاصلي لكتاب يوسفس «التاريخ القديم لليهود» كان يحتوي على شذرات من المواعظ الثورية التي كان ينشرها يوحنا والتي حملت هيرودس الى البطش به ، بيد ان تلك الشذرات قد حذفت ، فان آثار يوسفس وضعت تحت رقابة صارمة عندما قبض المسيحيون على أعنة الحكم .

وخلافا لما تقدم تقص الاناجيل لمصرع هذا النبي قصة شائعة فحواها ان هيرودس، الذي اقتسم هو وأخواه مملكة ابيهم بعد موته فأصبح حاكم الجليل، =

معنى مفهوما على قول يسوع :

= نزل على اخيه غير الشقيق وغير الحاكم فيلبس فافتتن بزوجته اللعوب هيروديا، وطاوعته المراة على هواه لشرهها الى المال وطموحها الى السلطان ، فلم يزل بأخيه يساومه فيها حتى فكها الاخ الفسل (الرذل الذي لا مروءة له) من قيد الزواج وأخلى سبيلها فاتخذها هيرودس زوجة له بعد ان طلق ابنة الملك العربي «الحارث» او حملها على الرجوع الى ابيها .

واستفتى هيرودس يوحنا المعمدان في هذا الزواج فلم يحله بل عده من الفواحش وأغلظ له في الجواب وزرى عليه سوء سيرته بوجه عام ، فلم يغتفر هيرودس له جرائه وامر به ان يسجن وأقام هيرودس في عيد مولده وليمة حافلة رقصت فيها سالومه ابنة هيروديا رقصا مثيرا اخذ بمجامع قلبه .

«فقال الملك للصبية مهما اردت اطلبي مني فأعطيك . وأقسم لها ان مهما طلبت مني لاعطينك حتى نصف مملكتي . فخرجت وقالت لأمها ماذا اطلب فقالت اطلبي رأس يوحنا المعمدان ... فللوقت أرسل الملك سيافا وامر ان يؤتي برأسه فمضى وقطع رأسه في السجن واتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية والصبية اعطته لأمها» (مرقس ٢٦ : ٢٢ — ٢٨) .

هذا ، وقد يكون من المفيد ان ننقل هنا نبذا من كتاب «القواعد السنية في تفسير الاسفار الالهية» وهو مطبوع ببيروت سنة ١٨٨٠ م ، قال :

«وفي العهد الجديد سمي اشخاص مختلفون هيرودس ، فان الذي ذبح في شيخوخته الاطفال في بيت لحم هو المدعو في تاريخ العالم هيرودس الكبير وهو الذي جدد بناء الهيكل وزينه وأصلح مدينة قيصرية على شاطىء بحر الروم واشتهر بحسده وقساوته . وبعد موته اعطى نصف مملكته اليهودية والسامرة لابنه أرخيلاوس وأعطى اكثر الجليل لابنه هيرودس أنتيباس رئيس الربع او الملك، واعطيت أجزاء اخرى من سوريا والجليل لابنه الثالث فيلبس رئيس الربع (المذكور في لوقا ٣ : ١) المدعو هيرودس فيلبس الاول . اما الذي اخذ هيروديا امرأة اخيه وقطع رأس يوحنا المعمدان فهيرودس فيلبس الثاني، والذي سخر =

«ومن ايام يوحنا المعمدان الى الان ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفون» (متى ١١ : ١٢) .

= بمخلصنا عند آلامه فهو هيرودس انتيباس رئيس الربع ...» ا ﻫ

وقد لاحظ بعضهم ان يسوع ، وقد كان في وسعه ان يظهر او يختفي بحسب مشيئته (مرقس ١٦ : ١٢) و(لوقا ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) ، لم يكن من العسير عليه ان يقوم بزيارة لقريبه الذي فقد حريته في سبيل الدعوة له والتبشير بمقدمه فينقذ رأسه الذي يوشك ان يطاح به من نزوات تلك المرأة الخبيثة او على أقل تقدير ـ لفرج كربته ويسري عنه . ولكنه ، بخلاف ذلك ، ما كاد يعلم بالقبض على يوحنا حتى ولى الادبار وهجر الاهل والديار .

«وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل» (مرقس ١ : ١٤) .

وقد استمر التخمر الخاص بفكرة المسيح المنتظر بعد يوحنا المعمدان ولم يقف عند حدود فلسطين بل تجاوزها الى مواطن اليهود المشتتين في مختلف الامصار وفي جملتها روما نفسها حيث كانوا يتناقلون فيما بينهم ان المسيح المرتقب على وشك ان يأتي .

- ٥ -

يسوع الانسان

في تلك الاثناء ، وبالتحديد في عهد العاهل الروماني طيبريوس قيصر عندما كان بيلاطس البنطي واليا على يهودية وهيرودس ملكا على جانب من أعمال فلسطين ، حدث ان برز من بين اليهود شاب مثالي جعل يضرب في قرى الجليل ، ينذر الناس انمملكة الله توشك أن تحل فوق الارض فعليهم ان يرعووا عن غيهم قبل فوات الوقت . وكان يتحدث الى قومه كمن أوتي سلطانا عليهم ويزجي لهم محاضراته ويسوق اليهم محاوراته في منطق مستقيم لا عوج فيه ويفصح لهم عن تقديره لآلامهم ومشاركته لهم في أحزانهم في أسلوب يكاد يكون شعرا وفي لهجة كلهجة من يتحدث الى نفسه في أحلام يقظته ، بكلام بسيط رصين يختلف اختلافا بينا عن ذلك الوعظ الفث والزجر الفظ الذي كان يشقشقبه الوعاظ وفقهاء الدين. كان ينادي بالإخاء بين الناس ، ولا يتعصب على من ليسوا من قومه اليهود او يقر إيثار الذكر على الانثى .

كان انبياء بنيإسرائيل من قبله يهتمون بالشعب في مجموعه،

اما هو فكان يبذل عنايته للناس فرادى ، وقد جعل كل إمرىء يبحث عن الفضيلة في دخيلة نفسه لا فيما يتلقى من أوامر ونواه، وبذلك لم يبق الناموس مفروضا على الناس من خارج بل صار شعورا جوانيا لا قبل لهم بمقاومته او انتهاكه .

لم يأت النبي الجديد بآراء جديدة ولكنه عرض الآراء القديمة في ضوء جديد ، فقد اراد ان ينمي كل شيء في موضعه دون ان يزحزح شيئا عن موضعه . لم تكن عبقريته هدم للبناء المتداعي واقامة بنيان متين مكانه بل عبقرية ترميم للمبنى المتهدم واستكمال ما يعوزه ، ولكن الحكم والامثال التي راح يفضي بها الى سامعيه كانت نفاذة العدوى سرعان ما يتناقلها الناس فتلتهب بها نفوسهم . وكان من طبائع الاشياء ان يصطدم هذا الشاب الجريء بالحزبين ذوي المكانة بين اليهود وهما :

١ ـ حزب الصدوقيين ، وهو حزب السراة أرباب المال والجاه وأصحاب العنجهية والتعجرف . وينتمي زعماء هذا الحزب الى أسرة صادوق كبير الكهنة في عهد الملك سليمان (١ أخبار ٢٩ : ٢٢) يتبعهم جانب ذوبال من كهنة أورشليم .

كان هؤلاء القوم يطمحون بأبصارهم الى القبض على ناصية السلطان السياسي ، ورأوا ان يمهدوا لذلك بالسعي لنيل الحظوة لدى الحكومة الرومانية مع الظهور مظهر المستمسكين بعرى الدين المتحنثين (١) في رعاية نصوصه القديمة ، فهم يتشبثون بشريعة موسى وحدها نابذين ما طرأ عليها من تفاسير وما ألحق بها من أوامر ونواه كتلك التي تدعو الى التزهد والتنسك وإطراح الآنية الفضية ورفض التعامل بالنقود الرومانية ، ومن ثم ألفوا في نشاط يسوع

---

١ ـ تحنث : تعبد .

تهديدا مزدوجا لهم في الناحيتين الدينية والدنيوية : فهو يعرّض مكانة الكهنة للخطر بما يكشف عنه من انتفاء حاجة الانسان الى وسيط بينه وبين ربه ، ثم هو يستثير جماهير العامة ويدعهم يستكفون (٢) حوله وفي ذلك تعكير للامن يفضي الى لوم الرومان اياهم وتثريبهم عليهم لتقصيرهم في صون النظام .

٢ ـ حزب الفريسيين ، وهم حزب السواد الاعظم من الشعب أي العمود الفقري لليهودية ، كانوا على نقيض الصدوقيين ، لا ينكرون البعث في اليوم الآخر .

«لأن الصدوقيين يقولون انه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح . وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك» (أعمال ٢٣ : ٨) .

وكانوا يتفاضون عن الناموس في بعض المسائل لاستنادهم الى لوائح شرعية يتسامعون بها ويتناقلونها خالفا عن سالف (٣) ،

---

٢ ـ استكف الناس حوله : أحاطوا به ينظرون اليه .

٣ ـ وقد وصفهم اميل لودفج في كتابه «ابن الانسان» ـ وقد ترجمه عادل زعيتر ـ بأنهم :

«إناس شاحبون ذوو وجوه مستطيلة ونظرات تدل على التعصب ، ويعني اسمهم «المتجانبين الخلص» ومنهم يتألف الحزب الوطني الكبير ...

والذي يذكرونه في دروسهم هو عدد الخطوات المباحة يوم السبت او عدد الجلدات التي يجلدها المذنبون ... وقد دام جدلهم عدة سنوات حول صلاح الغلات التي تقدم الى الهيكل اذا حصدت سنابلها في اليوم الثاني من عيد الفصح وكان هذا اليوم سبتا . ومن مسائلهم : هل تنعقد اليمين بالقسم على الهيكل او ذهب الهيكل وهل تظل النفساء دنسة في الايام السبعة الاولى او الايام الاربعة عشر الاولى ؟ وهل يجب في يوم الغفران ان يحرق البخور امام قدس الاقداس قبل حضور رئيس الكهنة او بعد حضوره ؟» أ هـ

وهم يعدون من هذه الناحية اكثر طوائف اليهود استنارة وأبعدها تقدما ، لولا انهم من دعاة العزلة ولهذا كانوا يتنكبون عن مخالطة الصدوقيين لأن هؤلاء كانوا يتصلون بالامم الوثنية ولا ينحاشون (٤) عن التعامل معها .

كان الفريسيون يكرهون من يسوع اجتراءه عليهم .

«فقال وويل لكم انتم ايها الناموسيين لانكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وانتم لا تمسون الاحمال باحدى أصابعكم . ويل لكم لانكم تبنون قبور الانبياء وآباؤكم قتلوهم» (لوقا ١١ : ٤٦ ـ ٤٧) .

وينقمون منه انه لا يأبه للناموس البتة .

فهو ينتهك حرمة السبت جهرة على الملأ وقد اوجبت تقديسه الوصية الموسوية الرابعة .

«اذكر يوم السبت لتقدسه ... لأن في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه» (٥) (خروج ٢٠ : ٨ ـ ١١) .

---

٤ ـ انحاش : نفر وتقبض .

٥ ـ ويؤخذ من ذلك ان الايام الستة التي امضاها الله في خلق الكون هي ايام حقيقية من ايامنا المعهودة التي يقاس كل منها بدورة الارض حول محورها دورة كاملة قبالة الشمس من الغرب الى الشرق ، وليست دهورا طويلة مجهولة المدى كما يزعم بعض المفسرين المحدثين .

وقد دونت الوصايا العشر في العهد القديم مرة اخرى في صورة مغايرة واذا هي تذكر لتقديس يوم السبت سببا يباين السبب المذكور آنفا .

«واذكر انك كنت عبدا في ارض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع محدودة. لاجل ذلك أوصاك الرب الهك =

ويزرون عليه وعلى أشياعه استهانتهم بآداب المائدة واهمالهم

= ان تحفظ يوم السبت» (تثنية ٥ : ١٥) .

واغلب الظن ان قصة خلق الله للعالم في ستة ايام واستراحته في اليوم السابع انما ترجع الى الاعتقاد الباطل ان المجموعة الشمسية تشتمل على سبعة اجرام سماوية . وكان العبريون القدماء يعتقدون ان الكواكب السبعة تهيمن على مصير الانسان فكان الحديث عن أعمار الانسان السبعة . وكانوا يعتقدون ان المحافظة على قدسية اليوم السابع مجلبة لحسن الحظ وان انتهاكها نذيـــر شؤم ودمار .

ومع ان العبريين الاوائل قد درسوا من قرون خلت فقد اورثوا ابناءهم أسطورة السبت ، وهي تفرض عليهم ــ بدلا من ان يسترخوا في هذا اليـــوم هانئين بين أزواجهم وأبنائهم سابحين في احلام يقظتهم محلقين في أجواء سعيدة مستبشرة ، وبدلا من ان يخفوا هاشين متهللين الى البساتين الجميلة الارجة ان يقضوا سبع أعمارهم قابعين في حجرات معتمة وفي صدورهم حرج وعلـى وجوههم جهامة وقد اتجهوا بأفكارهم صوب الموت وما يتصل به ، وعليهم ان يستقبلوا يوم السبت بتقليم اظفارهـم بادئين بالاصبع البنصر فالسبابـــة فالخنصر فالوسطى فالابهام ، وما أتعس اولئك الذين يلقون بقلامة أظفارهم الى الارض فان الشيطان يتخذ منها وسيلة الى ايذائهم .

وليس من المرخص لهم في هذا اليوم اشعال نار او اطفاء جذوة او ضمد جرح . واذا ما حل هذا اليوم واحدهم مسافر في الطريق فعليه ان يقعد مكانه اليوم كله لا يبرح ، واذا ارتدغ احدهم في المقاذر وجب عليه ان يبقى فيها عامة نهاره . ومن انتهك حرمة السبت فجزاؤه الموت . وقد أمر موسى برجل كان يحتطب في يوم سبت ان يرجم حتى الموت (عدد ١٥ : ٣٢ ــ ٣٦) .

وقد غض المسيحيون النظر عن يوم السبت الذي استراح فيه يهوه وباركه، ونقلوا «يوم الرب» من آخر الاسبوع الى اوله لان المسيح ــ فيما يقولون ــ قام من بين الموتى في يوم احد وقد ذكروا ان المسيح مضى هو وحاشيته في يوم =

= سبت يجولون في حقول الحنطة .

«وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم» (لوقا ٦ : ١) .

وبصر به نفر من الفريسيين فلم يلفتوهم الى انهم يتلفون النباتات الغضة اذ يطأونها بأقدامهم ولم ينبهوهم الى انه ليس من حقهم ان يأكلوا ثمار حقول لا يمتلكونها ، ذلك ان حق الملكية لا وزن له عند كتاب الاناجيل . وقد كان كل ما اهتم له الفريسيون الآنف ذكرهم هو ان اقتطاف السنابل وقع في يوم السبت ، وكان جواب يسوع عن ذلك انه انتهك حرمة السبت كما انتهك داود حرمة خبز التقدمة المحرم على غير الكهنة اذ تناوله وأكله (١ صموئيل ١ : ٤ ـ ٦) ، وقال ان للوعاظ ان يكسبوا قوتهم بالعمل ايام السبت .

«أوما قرأتم في التوراة ان الكهنةفي السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء» (متى ١٢ : ٥) .

٦ ـ كان الاغتسال ، فيما مضى ، من المناسك المرعية عند اهل كثير من الملل والنحل :

فقد كان قدامى اليونانيين كلما اتوا عملا دنسا او لامسوا النساء ازالوا ذلك الحدث بالغسل . وكانوا يشيدون ميضأة بباب كل معبد فيغسل قصاده أيديهم وأقدامهم قبل ان يطأوا عتبته .

ولا تزال الكنائس الكاثوليكية الى اليوم تضع عند ابوابها الماء المقدس ليتطهر به الآثمون .

وكان كهنة المصريين القدامى ـ فيما ذكر هيرودتس ـ يحلقون شعر جسومهم كل ثلاثة ايام ويغتسلون بالماء غير مرة في كل يوم .

واخذ اليهود عن المصريين عنايتهم بالاغتسال .

وما زال المسلمون يتوضأون خمس مرات في اليوم . ولبعض الشيع الاسلامية مذاهب خاصة في طريقة الوضوء فمنها ما يوجب غسل الذراع من الاعلى الى الاسفل ومنها ما يغسلها من الاسفل الى الاعلى ، وهلم جرا .

الوضرة (٧) من جفنة واحدة .

«ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزا بأيد دنسة اي غير مغسولة لاموا . لأن الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا أيديهم بإعتناء لا يأكلون » (مرقس ٧ : ٢ — ٣) .

وقد اغلظ المسيح لهم في الجواب ونبزهم بالمرائين واخذ يهون من شأن تقاليدهم في الاغتسال فقال مخاطبا تلاميذه :

«أما تفهمون أن كل ما يدخل الانسان من خارج لا يقدر ان ينجسه . لانه لا يدخل الى قلبه بل الى الجوف ثم يخرج الى الخلاء وذلك يطهر كل الاطعمة . ثم قال ان الذي يخرج من الانسان ذلك ينجس الانسان لانه من الداخل من قلوب الناس تخرج الافكار الشريرة زني فسق قتل» (٨) (مرقس ٧ : ١٨ — ٢١) .

---

٧ — وضر الاناء : اتسخ بالدسم او اللبن .

٨ — ويؤخذ من هذه الاجابة ان يسوع كان ، كأهل بيئته ، يجهل وظيفة المخ . وعنده ان البدن ينطوي على الامعاء وان الطعام يجوز بها دون ان يكون له بعد هضمه فيها أثر في تفكير الانسان ، وان الجوانح تنطوي على القلب. وهو موطن الانفعالات الخلقية ومصدر التفكير .

«ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض . وان تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه» (تكوين ٦ : ٥ — ٦) .

أجل ، كان يسوع يجهل كل شيء عن وظيفة «المخ» ولهذا لم ترد هذه الكلمة قط على لسانه . ولو انه كان يعلم ان حركات الايدي والارجل تنشأ اول ما تنشأ على هيئة ارادة في المخ وان هذه الاعضاء تؤدي ما تقوم به من حركات بعد أن تتلقى الاوامر بذلك من المخ ، لو انه كان يعلم ذلك لما قال : =

وكانوا يعيبون عليه بطنته وولعه بالشراب :

«فيقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر»

(متى ١١ : ١٩) .

وكانوا يضيقون به اذ يصطفي جلساءه وأصفياءه من العشارين (٩) واذ يعطف على الخاطئين ويسري عن المنبوذين ، فهو ـ بوصفه يهوديا ـ لم يكن في حسبانهم الا هرطيقا مجدفا يسلك مسلكا قمينا بأن ينسف اليهودية ويجتثها من أصولها .

وقد استبان للكهنة خلفاء هرون ولشتى القوى اليهودية ان المبادىء التي يبثها هذا الشاب حرية ان تفل سلطانهم وتقوض بنيانهم ، فكاشفوه بالعداء وأصلوه حربا عوانا (١٠) ، وعزوا اليه أن يعمل لتأسيس مملكة في يهودية يتربع هو على عرشها واتهموه

= «فان اعثرتك يدك او رجلك فاقطعها والقها عنك . خير لك ان تدخل الحياة أعرج او اقطع من ان تلقى في النار الابدية ولك يدان ورجلان» (متى ١٨ : ٨) .

ولقال بدلا من ذلك :

اذا أعثرك مخك فاستخرجه فخير لك ان تدخل السماء بجمجمة منخوبة من ان تلقى في النار الابدية وانت محتفظ بمخك .

٩ ـ كان اليهود يؤدون الى الهيكل عن طيب خاطر ما يفرضه عليهم من الضرائب . أما الضرائب القليلة التي تفرضها عليهم الدولة فكان على العشارين ان ينتزعوها منهم كرها ويسلموها الى الامير فيدفع منها الجزية الى روما عدوة اليهود ، ولهذا كان القوم يمقتون العشارين . ومن الطبيعي ان هؤلاء العشارين كانوا يجمعون من الضرائب اكثر مما يؤدون الى الامير .

١٠ ـ العوان من البقر والخيل هي التي بين الصغيرة البكر والمسنة ، والحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد اخرى كأنهم جعلوا الاولى بكرا ، والحرب العوان هي أشد الحروب .

بأنه ينقض الناموس ويعرّض بذلك بني اسرائيل لقصاص إلههم المنتقم الغيور وقد تسنى لمحترفي الديانة احباط دعوة النبـــي الجديد ودحض حججه ، فأعرض الشعب عنه ولم يصخ الـــى مواعظه ولم يستجب لدعائه ، وقضى المعلم وفـــي نفسه حسرة وكمد فنسيه الناس ولم يعبأ به التاريخ . ان هو الا زعيم ميت كان يسعى الى غرض مفقود .

- ٦ -

يقظة التبشير بالمسيح المنتظر

وفي سنة ٦٨ احاط الرومان بأورشليم ، فلما كان شهر اغسطس من سنة ٧٠ م اقتحمت جحافل تيطس ربوع المدينة وصيرتها خرابا يبابا واضرمت النار في الهيكل فذهب الوف من اليهود طعمة لها ، وعندئذ خطر ببال القوم ذلك الرجل الذي كان قد تكهن بتلك الكارثة .

«وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل انه مزين بحجارة حسنة وتحف قال هذه التي ترونها ستأتي ايام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض» (لوقا ٢١ : ٥ ــ ٦) .

«ومتى رايتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابها» (لوقا ٢١ : ٢٠) .

اجل ، خطر ببالهم ــ بعد خراب أورشليم ــ ذلك البار الذي وفد على الجيل السابق لهم يوجه مواعظه الى الجياع ويزجي تعازيه الى المساكين التائهين في بيداء الضياع فرفضه آباؤهم بغباوة وأسلموه الى اعدائه في نذالة ، وتذكروا انه كان ينثر كلاما حلوا لم يسبقه اليه سابق فلا غرو ان يكون هو المسيح المرتقب .

اما موته فهو ولا ريب جانب من رسالته اقتضته المشيئة اللدنية.

وكان بين ألفاف اليهود فريق من النساك يعرفون باسم «الناصريين» أبعدوا في كبت نوازع الجسد وفي رياضة النفس بالصلاة والصوم ، وانتشت طائفة منهم بالتدله في حب المسيح المنتظر فالتاثت (١) عليهم الامور واصبحوا يتخيلونه وقد قتل ثم بعث حيا وعرج به الى السماء تمجيدا له وتكريما ، بيد انه لن يلبث حتى يعود فانه ، وهو أصدق القائلين ، قد بشَّر بعودته اليهم في قوله :

«وحينئذ يبصرون ابن الانسان (٢) آتيا في سحابة بقوة ومجد كثير» (لوقا ٢١ : ٢٧) .

اجل سيعود اليهم ويقتص لهم ، وستكون هذه العودة في وقت هم فيه أبعد ما يكونون توقعا لمقدمه .

«فاحتزروا لأنفسكم لئلا تنتقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة » (لوقا ٢١ : ٣٤) .

وتآلفت في اورشليم جماعة لانتظاره كان على رأسهم ، في نحو ٢٧ م ، اضعف تلاميذه شخصية واحبهم اليه وهو بطرس ، وكذلك يعقوب James ويوحنا ، وكان هؤلاء جميعا يعرفون باسم «اخوة الرب» وبهم قامت الكنيسة المسيحية الاولى .

وما برحت تلك الاخيلة تلح على الاذهان حتى انقلبت عند اولئك السذج يقينا ما بعده يقين ، ولكن ذلك النبي لم يعد بطبيعة الحال ، لم يعد يسوع المضحى به بوصفه المسيح المنتظر ، ليحكم الأحياء والاموات الى ان ينتهي العالم نهايته الوشيكة .

---

١ ـ إلتاث عليه الامر : اختلط والتبس .

٢ ـ هذا اللقب المسيحي «ابن الانسان» مأخوذ من سفر اخنوخ .

«الحق اقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله» (مرقس ١٣ : ٣٠) .

وتفانت في أذهان القوم صورة النبي الذي مات منذ عشرات السنين فانفسح المجال لان يحل محلها او تختلط بها صورة اخرى وثنية الاصل .

فقد انتقل الى المسيحية في تلك الحقبة من الزمن اوزاع (٣) من الوثنيين نقلوا اليها معهم تلك الصورة التي كانت ما تزال تداعب أخيلتهم ، الا وهي صورة الإله الابن وقد تجسد وهبط الارض من رحم أم عذراء ثم لفظ انفاسه فوق الصليب وما عتم ان انبعث من رمسه وارتفع في السماء صعدا . ولم يجد كهنة المسيحية غضاضة في تبني تلك الصورة تآلفا لقلوب الوثنيين واغراء لهم بالدخول في دينهم . ولم يكن في الامر من جديد على اصحاب هذا الدين المبتدع من اليهود ، فقد كانوا في العهد القديم لا يكتفون بانزال الله من السماء بل يورطونه فوق ذلك في مصارعة يابانية (٤) ويعهدون اليه في تحريض شعبه المختار (٥) على أمور تنافي مكارم الاخلاق ويحملونه على أن يبارك أشياء كثيرة مستهجنة (٦) .

---

٣ ـ الاوزاع : الجماعات . بها اوزاع من الناس اي جماعات وضروب متفرقة .

٤ ـ «ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ... فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت ... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لاني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي» (تكوين ٣٢ : ٢٥ ـ ٣٠) .

٥ ـ «وأما انتم فجنس مختار وكهنوت ملكي أمة مقدسة» (١ بطرس ٢:٦).

٦ ـ «فيكون حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امراة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» (خروج ١٣ : ٢١ ـ ٢٢) .

وما فتىء الكهنة ومن اليهم يتناولون سيرة يسوع بالتغيير والتبديل ، ولم يزالوا ينحلونه من صفات آلهة الاساطير ما يضفي عليه العظمة والبهاء ويجلل هامته بهالة من السناء . فلا غرو ان تشاب الحقائق بالاكاذيب ويمتزج الزائف بالصحيح وتتطرق الخرافات الى التاريخ فتبلغ حوادث السيرة اليسوعية من التورم والتضخم مبلغا لا ينهض به الا إله .

- ٧ -

يسوع الاله

وهكذا برز يسوع الاناجيل وانه ليختلف اختلافا بينا عن يسوع النبي (١) .

١ ـ فهو ، من حيث أصله ، إله لا انسان .

٢ ـ ومعجزاته التي أحصتها الاناجيل (اخماد العاصفة (٢) وإحياء

---

١ ـ يفرق المسلمون بين اسمي «النبي» و«الرسول» على اساس الاشتقاق اللغوي ؛ فيطلقون اسم «النبي» على كل من أوحي اليه بشرع يكلف هو التزامه دون ابلاغه لقومه ، اما اسم «الرسول» فيطلقونه على من يوحى اليه بشرع يكلف التزامه كما يكلف ابلاغه للناس . وبخلاف ذلك يطلق النصارى لقب «نبي» على كل الذين تنبأوا (وبخاصة من كانوا من ابناء اسرائيل وآباء اسرائيل) منذ بدء الخليقة الى ما قبل يسوع ويطلقون كلمة «الرسل» على الاثني عشر الذين ارسلهم «الرب» يسوع للدعوة الى دينه في مختلف الامصار ، وهم الذين يلقبهم العرب بالحواريين .

٢ ـ «فقام وانتهر الريح وقال للبحر اسكت ابكم فسكتت الريح وصار هدوء عظيم» (مرقس ٤ : ٣٩) .

الموتى وصحوته هو نفسه من الموت الخ الخ هي من أعمال الآلهة) .

- وقد تحدثت به رسائل بولس على انه إله وصمتت عن هديه (٣) وتعاليمه . وهو في رسالة رؤيا يوحنا شخص سماوي من الالف الى الياء ، فقد نعتته بنعوت مقتبسة مما ذكره كل من حزقيال ودانيال في وصف يهوه وزعمت انه مذبوح منذ نشأة العالم (٤) .

وكان بولس المنافس لبطرس ويعقوب ويوحنا في تلقي بعض رسائل الموحى بها بطريق الرؤيا ، هو الذي حدد نوع الميتة التي ي بها يسوع ، وقد اقتبس فكرتها من الآيتين :

«ثقبوا يدي ورجلي ... يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون» (٥) (مزامير ٢٢ : ١٦ - ١٨) .

وعنده ان أحبار اليهود لم يكونوا هم الذين قتلوا يسوع ولا ن قاتله هو الوالي الروماني ولكنه كان ابليس اللعين وأعوانه من شياطين .

---

٣ - الهدي : السيرة والطريقة ، يقال هدي هديه أي سار سيرته وما سن هديه .

٤ - اشارة الى قولهم :

«الذين ليست اسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حيوة الخروف الذي ذبح» (رؤيا ١٣ : ٨) .

وهذه ترجمة سقيمة معتلة وصحتها :

الذين لم تدون اسماؤهم في سفر حياة الحمل الذي ذبح منذ ان وجد الم .

٥ - «وكان القميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق . فقال بعضهم لبعض نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابي بينهم ى لباسي القوا قرعة» (يوحنا ١٩ : ٢٤) .

٤ ـ وكان الفنوسطيون (٦) يعدونه كائنا سماويا ، وكانت منهم شيعة تدعى عبـدة الثعبان (Nassens) او (Ophites) يترنـم اعضاؤها ـ كمـا روى هبوليتس Hippolytus في القرن الثالث ـ بأنشودة ذكر فيها يسوع على انه كائن سماوي التمس من ابيه أن يدعه يهبط الارض ليستنقذ أرواح البشر .

٥ ـ وقد صمت كبار الكتاب من اليهود والوثنيين الذيـن يعتقد ان المسيح كان معاصرا لهم مثل فيلو كما صمت المؤرخون من الجيل التالي مثل يوسفس عن ذكر هذا المسيح كأنما هو من غير الاناس .

٦ ـ ولم يبق بين أيدينا مرجع نهتدي به في سيرة يسوع غير الاناجيل ، وقد اجمعت على ان يسوع قرر انه هو المسيح ابن الله الذي ينتظره اليهود . ومن ذلك ان رئيس الكهنة سألـه قائلا :

---

٦ ـ الفنوسطية : (Gnosticism) او المعرفية وهي حركة فلسفية ودينية اساسها ان الخلاص يتم بالمعرفة اكثر مما يتم بالايمان والاعمال الخيرة . وقد نبذت غنوصية المسيحية الاولى الاسس اليهودية للمسيحية . وقد زعم أتباع هذه الحركة ان المادة أشبه بسجن زجت فيه الروح . وأن إله مخلّص يهبط المادة ليحرر الانفس الساقطة فترتفع تدريجا بين طبقات العالم السماوي ، وقد ذهبوا في وصف هذا الصعود مذاهب خيالية غريبة . والغنوسطية مظهر فكري لنماذج الآراء الدينية في العهد الهيليني ، وقد تأثرت بآراء الثنوية . وكانت خطرا في أوائل المسيحية . قاوم تعاليمها افلوطين . فقد كانوا يستتفهون التوراة ويستهجنون ما تسرده من قصص كقصة خلق الدنيا في ستة ايـام واغراء الحية لحواء وآدم بأن يأكلا من ثمار الشجرة المحرمة ، وكانوا كذلك يستقبحون مناسك العبريين ولاسيما تقريب القرابين الدموية ، وعندهم انه ليس مما يليق بالله اسرائيل ان يميز بين الشعوب ويتحيز لشعبه المختار .

«أستحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت» (متى ٢٦ : ٦٣–٦٤).
«وقال له اانت المسيح ابن المبارك فقال يسوع انا هو» (مرقس ١٤ : ٦١ – ٦٢) .

٧ – ولم يهجس ببال احد ممن عاشوا قبل تدمير أورشليم وتشتيت شمل اليهود في سنة ٧٠ م ان يعد يسوع شخصا تاريخيا .

٨ – وليس لدينا شهادة غير مسيحية من القرن الاول تنبىء بوجوده . اما الشهادات التي تلقطوها من القرن الثاني ليبرهنوا بها على صحة قصة المسيح فهي غير خالصة من عبث المسيحيين، ومن ثم لا يعتد بها .

٩ – هذا وليست المذاهب التي عزوا الى المسيح انه ذهب اليها والمواعظ التي نحلوه اياها بالشيء القشيب المبتكر بل هي عتيقة تنتمي الى مصادر يهودية معلومة .

١٠ – وقد كان العالم القديم على بصر بالكثير من الكوائن (٧) الهامة التي تتألف منها سيرة يسوع : الصلب . القيامة من الموت . العشاء الرباني . أكل الإله (٨) الخ الخ . فلم يعد يسوع أوثق تاريخية من أوزيريس وأتيس وديونسيس ومثرا ؟ ان البراهين التي يستظهر بها لإثبات تاريخية يسوع تصلح كذلك لاثبات تاريخية آلهة الاساطير جميعا من أمثال هرقل ، بل لاثبات تاريخية أبطال حكايات «العفاريت» ايضا من امثال جاك قاتل المردة .

نخلص مما تقدم بأن يسوع الاناجيل إله لا انسان . وقد

---

٧ – الكائنة : الحادثة ج كائنات وكوائن .

٨ – «وفيما هم يأكلون اخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي» (مرقس ١٤ : ٢٢) .

انكر التاريخ هذا الإله ولم يفسح له صفحة في سجلاته ، فلم يبق الا ان يكون :

١ ـ بطلا لأسطورة من اساطير الاولين ، او

٢ ـ رجلا من عرض الناس عاش بعض حين يعلم ويعظ ثم مضى دون ان تقترن حياته بأحداث ذات بال تسترعي الانتباه وتستوجب التسجيل .

- ٨ -

تجسد الآلهة

نرى مما تقدم ان صانعي المسيحية قد رسموا لمسيحهم صورة شبه في كثير صور الآلهة الابناء عند الوثنيين ممن تصوبوا[١] الى لارض ليخلصوا الناس من الأوزار التي ولدوا وهم مثقلون بها فلم يكرم لناس وفادتهم بل صلبوهم وقتلوهم شر قتلة . فكيف انتهى لوثنيون القدامى من قبل الى رسم تلك الصورة التي اتخذها صانعو لمسيحية نماذج يحاكونها ؟

١ ـ كانت الشعوب المستذلة تود لو ثارت بطواغيتها وخلصت فسها مما رطموها[٢] فيها من فوضى وانحلال ، الا ان نفوس لقوم كانت تتقاصر عن ذلك فلم تعد تلك الاماني ان تكون أحلام يقظة يقعد بهم العجز عن تحقيقها ، فكان لزاما ان يأتي مخلّص

---

١ ـ صاب الشيء : جاء من عل ونزل .

٢ ـ رطمه : أوحله في أمر لا يخرج منه . ارتطم في الوحل : وقع فيه.

اجنب (٣) يضطلع بديلا منهم بهذا الامر الذي لم يكن لهم بـــه طاقة . وليس ثم أيسر من ان يرسل الإله الذي في السماء من لدنه من يكافح الشيطان ويحبط تدبيره ويستنقذ البشر ممـــا بهظهم به من عنت .

على ان هذا المخلّص الذي يرسله الإله اليهم فيأتي بينهم من الخوارق والاعاجيب ما لا قبل لهم بمحاكاته لا يسوغ ان يكون انسانا فانيا مثلهم بل هو أحرى ان يكون كائنا سماويا منحدرا من سلالة الآلهة ، وبما انه لم يكن ليتسنى له ابلاغ رسالته وانجاز عمله الا ان كان في مسلاخ (٤) بشر فقد وجب ان يكون إلهـــا متجسدا في إهاب (٥) انسان .

٤ ، لقد كانت عقول اولئك الوثنيين لا تستوعب غير الاشيـــاء الظاهرة المحسوسة ، فهم يتطلبون إلها منظورا لا يلبد (٦) بأقصى السماء متواريا وراء السحب بل يحل فيهم ويعيش بين اظهرهم .

«الكلمة صار جسدا وحل بيننا» (يوحنا ١ : ١٤) .

فيتحدث اليهم ويسمر معهم ويفصح لهم عن محبته اياهـم وعطفه عليهم ورثائه للضعفاء منهم .

«يرثي لضعفائنا» (العبرانيون ٤ : ١٥) .

كان اولئك الجاهلون بفلسفة العقل البشري وبالقوانين التي تهيمن عليه قاصرين عن حل معضلة الاعمال الباهرة التي يُتـــاح

---

٣ ـ الاجنب : الغريب ج اجانب .

٤ ـ سلخت الحية : انكشفت عن جلدها . المسلاخ : الجلد ، ويقال في المدح او الذم هو ملك او حمار في مسلاخ انسان .

٥ ـ الاهاب : الجلد المحيط بجسم الحيوان قبل ان يدبغ . يقال كـاد الفرس يخرج من إهابه .

٦ ـ لبد بالمكان ولبد به : اقام .

لاحد الناس ان يقوم بها على حين هي تستعصي على سائر الناس، فكانوا اذا وجدوا امرءا فذا يبزّهم ذكاء وينفرد دونهم بالمقدرة على ابراء المرضى ويسمو عليهم خلقيا فيغشاهم في أكباسهم (٧) ليشاطرهم أتراحهم ويخفف عنهم أعباءهم ويهون عليهم أرزاءهم، اوشكوا ان يتخذوا منه مثلهم الاعلى وهو ما يزال حيا وربما رفعوه بعد موته الى أوج الألوهية . وهكذا نشأت عبادة الافذاذ (٨) .

---

٧ ـ الكبس (بكسر فسكون) البيت من الطين .

٨ ـ ولم ينفرد المخلصون من ابناء الآلهة بهذا الشرف الرفيع ، بل لقد نحل بعض أفذاذ البشر هذا النسب الالهي ، نذكر منهم :

١ ـ افلاطون ، وقد حملت به أمه العذراء بريتونيا من صلب الاله أبولو لا من صلب أرستن الذي كانت على وشك ان تزف اليه .

٢ ـ الاسكندر المقدوني ، وقد نفي «والده» فيليب امه أوليمبياس بمنأى عنه زمنا طويلا فحملت بابنها في المنفى من الاله زيوس .

٣ ـ فيثاغورس ، وقد حملت به أمه بثياس سنة ٥٥٠ ق.م من روح الاله أبولو (الروح القدس) وقد عبده قومه بوصفه «ابن اللـه» و«الفارقليط» وتضمنت سيرته انه :

أ ـ كان روحا في السماء قبل ان يولد على ظهر الارض .

ب ـ انبأ بعضهم بمقدمه قبل مولده .

ج ـ كانت امه عذراء مقدسة بالغة الغاية من الطهر .

د ـ ادهش المعلمين في صباه بما أوتي من حكمة موفورة .

هـ ـ وكان في مقدوره ، كما كان في مقدور يسوع ، أن يحل بمكانين اثنين في وقت معا .

و ـ وكان يمشي على صفحة الماء وعلى متن الهواء .

ز ـ ويخمد العواصف الثائرة في عباب البحر .

ح ـ ويأمر العقاب (Eagle) فتهوي من حالق ويشير الى الدب فيأتي صاغرا ويعبث بالحيات وهو آمن لدغاتها .

ط ـ وكان يطرد الشياطين ويبرىء من شتى الامراض . =

٢ ــ ولئن كان قد أمكن الزعم بأن هؤلاء الافذاذ انحدروا من صلب الإله لقد كان من العسير اخفاء انحدارهم من ارحام أمهاتهم اللاتي ولدنهم ، وإذن فلتكن أم كل منهم قد حملت به بعد ان رقدت في حضن الاله القادر على كل شيء .

٣ ــ وانه ليضفي على تلك الأم بهاء وسناء أن تنسب الى أطيب ارومة ، فلتكن اذن سليلة أسرة مملكة ، وذلك أحرى ان يضاعف من قيمة تواضع ابنها ، ذلك الذي رضي مع كرم محتده وسمو نسبه ان يولد في مذود او كهف وان يعيش في لأواء (٩) بين ظهراني أوضع طبقات البشر .

٤ ــ وخليق بتلك الأم ان تكون مبراة من المعايب والشوائب . فلتكن اذن عذراء لم يمسسها بشر ، ولتكن تقية النفس نقيــــة العرض موصوفة بالعفة والورع .

وقد اظهرت بعض الشعوب نفورا من تفصيــــلات الولادة ، فنسب كل منها الى مخلّصه أنه ولد بطريقة غير مألوفة ، ومن

= ي ــ وقد احيا كثيرين ممن ادركهم الموت .

ك ــ وكان منقطع النظير في تواضعه وطيبة نفسه .

ل ــ أطال الصوم ، وكان زاهدا في مباهج الدنيا وملذات الحياة مزدريا لما يضطرب فيه الاغنياء من اسباب الترف والأبهة .

م ــ كان عدوا للاغنياء صديقا للفقراء فالفقراء أجباب الله «طوبى للمساكين» (متى ٥ : ٣) .

ن ــ حث على مصافاة العدو وأوصى بطاعة الوالدين وحرم معاقرة الخمر.

٩ ــ اللأواء : الشدة والمحنة ، يقال هم في لأواء العيش اي في شدته . وفي الحديث «من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابا من النار » .

ذلك ما عزاه اهل اليونان الى «ملكة السماء العذراء المباركة» يونو من انها حملت من شذا زهرة فولدت مارس (١٠) ومن أن «الريح» هبت عليها بعد ذلك فحملت بفلكان (١١) .

ويلاحظ هنا ان الفضل في حمل السيدة مريم العذراء مرده الى «الروح» وهذه الكلمة مشتقة في اللغة العبرية من كلمـــــة «ريح» (١٢) كما يلاحظ ان اليوم الذي حملت فيه العذراء يونو ،

---

١٠ ـ إله الحرب .

١١ ـ إله الصناعات المعدنية .

١٢ ـ وكذلك الامر في اللغة العربية فان كلمة «ريـــــح» من مادة «روح». واصلها «روح» بكسر فسكون فقلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة وهي تجمع على رياح وأرياح باعتبار الحال وعلى أرواح باعتبار الاصل .

قالت الشاعرة :

لبيت تخفق الارواح فيه　　　احب الي من قصر منيف

والمراد بـ «البيت» هنا الخيمة .

وجاء في العهد القديم :

«هلم يا روح من الرياح الاربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا» (حزقيال ٣٧ : ٩) .

ويلاحظ مثل ذلك في مادة «نسم» فان النسم يعني نفس الروح كما يعني «الريح» كما يؤخذ ذلك من الاشتقاق اللغوي .

الروح .

وليس الامر مقصورا على اللغات السامية ، فان كلمة (Spirit) الانجليزية (وهي (Esprit)) في الفرنسية ومعناها روح او نفس (بالسكون) مشتقة من كلمة (Spiro) اللاتينية ومعناها انا اتنفس .

لقد كان البدائيون يعتقدون ان نفس الانسان (بفتح الفاء) هو نفســـــه (بسكونها) أي روحه . وكانوا يتوهمون ان ثم سوائل معينة تتحلل في الهـــواء اللطيف فتنجم الروح من ذلك .

وهو اليوم الثاني من فبراير ، هو اليوم الذي كان الرعيل الاول من المسيحيين يحتفلون فيه على انه اليوم الذي حملت فيـــــه «العذراء المباركة الى الابد» مريم .

٥ ـ ولقد كانت مزاعم الحمل بلا دنس واسعة الشيوع في الازمنة الغابرة . وذلك هو اصل عقيدة التيثليث القائلة بأن الاله يشتمل على ثلاثة كائنات كل منها مستقل عن الآخر ، وهي عقيدة ذاعت بين الوثنيين في امكنة مختلفة وازمنة شتى ، وهذا مـــا عبر عنه القديس جيروم بقوله «ان جميع الشعوب القديمة كانت تؤمن بالثالوث» واغلب الظن ان عقيدة التثليث هندية النشأة فان أقدم ثالوث نعرفه ثالوث هندي .

ونحن نعرف الثالوث المصري :

أوزيريس	وهو الاب
إيزيس	وهي الأم
حورس	وهو الابن

وهذا الثالوث (١٣) الذي عرفه المصريون في لاهـــوت عين

---

١٣ ـ ومنه اقتبس المسيحيون ثالوثهم ، بيد ان نمو النزعة نحو التقشف والنسك جعل القساوسة ذوي الانحرافات الجنسية ينفرون من اشتمال الثالوث الالهي على امراة ، وقد كانت الاناث في المجتمعات القديمة اصفارا لا وزن لها وكان الرجال ينظرون اليهن على انهن لسن الا مجلبة لأنسهم ووسيلة لاشاعـــة السرور في نفوسهم ، وهكذا نفى القساوسة الام من الثالوث واحلوا محلها فيه عضوا غير ملموس هو الروح القدس .

وهذه «الروح» القدس التي انشعبت بسببها سيول من الدماء ان هي الا «الريح» كما يؤخذ ذلك من الاشتقاق اللغوي .

«وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ...

وامتلأ الجميع من الروح القدس» (اعمال ٢ : ٢ ـ ٤) .

شمس لم يكن بالثالوث الوحيد الذي قام فيهم ، فقد عرفوا كذلك ثالوثا ثانيا في لاهوت طيبة يتكون من :
امون ــ توت ــ خنزو .
كما عرفوا ذات يوم ثالوثا ثالثا يتكون من :
نف ــ ساتيه ــ أنوكيه .
وقد كان المصريون القدامى يؤمنون كذلك بخطيئة الانسان وبالتجسد والفداء .
وكتب أفلاطون ، قبل المسيح بأربعة قرون ، يشرح عقيدة التثليث فأسهب في الشرح واستخدم لذلك ألفاظا هي نظائر لتلك التي في العهد الجديد ، نذكر منها :
(Fo Agathon) أي الإله الاعظم او الاب .
(Logos) الكلمة .
(Psyche) النفس او الروح (روح القدس) .
وكانت في روما مسلة عليها كتابة اغريقية وردت فيها كلمتا «الإله الاعظم» و«ابن الله» (١٤) .
٦ ــ ويتعين ان يقع الميلاد في ٢٥ ديسمبر . فقد ولد في هذا اليوم كل من باكوس وادونيس في اليونان وكرشنا وبوذا سكيا في الهند وتشنج تي في الصين وكرس (١٥) في الكلدان ومثرا في

---

١٤ ــ ويلاحظ ان الآلهة في الثالوثات جميعا كلهم ذكورا عزاب لا مجال بينهم للاهات من الاناث . ويرى الفلاسفة المحدثون من الخطل أن ينعت الآلهة بالذكورة لان تحقق الذكورة فيهم يستدعي وجود الجنس الاخر والا عاش الآلهة الذكور في شذوذ يعدمون معه الاحساس بالسعادة السابغة .

١٥ ــ لاحظ التشابه في الكتابة وفي النطق بين الاسماء الثلاثة :
كرشنا (Chrishna) .
كرس (Chris) .
كرست (Christ) اي المسيح .

ايران وياو وابول (Jao Wapaul) في بريطانيا .

وكان اهالي تلك البلاد يحتفلون بأعياد اولئك الآلهة في منتصف الليل من ذلك اليوم ، وكان نساء روما يجبن الطرقات في ذلك اليوم يرددون مترنمات «لقد ولدنا اليوم طفل» .

٧ ـ على ان ذلك الميلاد لم يكن يحدث دون إرهاص (١٦) بل كان يتكهن به في كل مرة نبي يوحي اليه بذلك ، فاذا ما تم الميلاد أعلن ذلك بين الناس نجم متألق في السماء (١٧) .

وقد جاء في أسفار البوذيين المقدسة ان نجما اذاع مولد بوذا.

وعندما ولد كرشنا ميز النبي نرد نجمه في السماء واشهد الناس عليه .

وعندما ولد يو مؤسس الاسرة الملكية الصينية الاولى من أم عذراء نبأ احد النجوم بذلك .

وكذلك أنبأ نجم بمولد الحكيم لاؤتسي .

وفي اقاصيص اليهود ان سحرة مصر ابصروا عند ولادة موسى نجما يتألق (١٨) .

٨ ـ وبما ان مولد إله في هذا العالم امر جلل حري بأن يحف بالأبهة والجلال فلا غرو ان تسبح الملائكة في السماء مترنمة في حبور واغتباط وأن يطوف الرعاة والسحرة والحكماء بمهد الاله الوليد مسبحين بحمده (١٩) معربين عن ولائهم له بما يزفون اليه

---

١٦ ـ الارهاص شرعا : الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة .

١٧ ـ «واذا النجم الذي راوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي» (متى ٢ : ٩) .

١٨ ـ كان الاسرائيليون ، كما كان كثيرون غيرهم من الشعوب القديمة ، يشتغلون بالتنجيم . وقد جاء في التلمود ان حياة الطفل وما قسم له فيها يتعلقان بنجمه لا بمسلكه .

١٩ ـ متى ٢ : ١ ـ ١١ .

من غوالي التحف ونفائس الطرف ، فعندما ولد بوذا انشأت زمرة المرنمين السماويين تنشد بأصوات ملائكية «قد ولد اليوم بوذا لخير البشر ولكيما تنقشع غياهب الجهل عن الناس ولكي يمنح العالم سلاما وابتهاجا» . وحدث مثل ذلك لكل من كرشنـــــا وكنفوشيوس ومثرا ، بل لسقراط كذلك ، فكيف لا يشاطرهم يسوع هذا المجد .

لقد نشيء كرشنا بين ظهراني الرعاة ردحـــا من الدهر ، وكذلك :

«كان في تلك الكورة رعاة ... فقال لهم الملاك ...
انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب» (لوقا ٢ : ٨ ــ ١١) .

٩ ــ ولا ريب انه اذا ائتمر [٢٠] قوم بالإله الطفل وبيتوا له الشر أضفى ذلك على مقدمه جوا شاعريا أسطوريا ، ومن ثم نرى ملك البلاد الطاغية يتناهى اليه خبر مولد الطفل الذي أقبل يتهدد ملكه فيتعاظم الامر ولا يتورع عن ايقاع مقتله تسفك فيها دمـــاء الأطفال [٢١] ، غير ان الاله الاب المتربع فوق عرشه يتدارك ابنه بعنايته الصمدانية وينقذه بأعجوبة من الخطر المحدق به .

وقد كانت الاعجوبة التي حقنت [٢٢] دم بوذا الطفل هي انه بدا لأعين الجنود ، الذين جاسوا خلال بيت ابويه لازهاق روحه، كأنه غلام في الثانية عشرة من عمره فتجاوزا عنه .

---

٢٠ ــ ائتمر فلانا : شاوره . ائتمر بفلان : اذا هموا به وتشاوروا فيه . ومعنى يأتمرون بك اي يامر بعضهم بقتلك وفي قتلك .

٢١ ــ متى ٢ : ٦ .

٢٢ ــ حقنه : حبسه ، ومنه حقن بوله . حقن دمه : حل به القتل فانقذه خلاف هوره كأنه جمعه في صاحبه فلم يرقه .

وتعقب الطاغية اموليوس أوزيريس يبغي الفتك به فهرب به والداه وأخفياه على ضفاف النيل .

وكذلك أخفي يسوع المسيح في مصر .

وفي مصر ايضا هربت أم مخلّص آخر اقدم عهدا ميممة شطر إيدامس حيث وضعت «ربنا ومخلصنا» حورس .

وكذلك كان شأن كرشنا والسيدس وزرادشت وسالفا هانا ويو فقد أشفوا في طفولتهم على الهلاك بأيدي شانئيهم ، ومثلهم باكوس ورومولوس وموسى وكيروش (قورش) فقد انقذتهم العناية الربانية بأساليب عجيبة من ورود حياض المنون .

١٠ ـ ومن البديه ان هذا الإله الذي تمثل بشرا سويا يبدي بطولة جسمانية او نبوغا عقليا او كليهما ، وكلما كان اكثر تكبيرا في عرض براعته والتغلب على اخطار تعرض له كان أدنى الى الآلهة (٢٣) .

وحكي عن بوذا سكيا انه ما ان ولد حتى استوى واقفا يجهر برسالته وقد شع مهده ضياء ، وحدث ان طمت (٢٤) امواه نهر الغنج على نحو غير معهود فاذا بوذا يسكن ثائرة النهر كمثل ما فعل يسوع اذ أخمد العاصفة التي هبت عليه هو ورفاقه في عرض البحر .

وقد أظهر بعض ابطال اليهود ممن نوه (٢٥) بهم العهد القديم

---

٢٣ ـ تقول بعض الاناجيل غير الموثوق بها (وهي التي ينكرها البروتستانت) ان يسوع بدأ في اجتراح المعجزات وهو لما يزل في طور الطفولة . ويقول انجيل لوقا ان يسوع بدأ في اظهار تفوقه العقلي وهو يناهز الثانية عشرة اذ كان يواجه المعلمين في الهيكل ويفحمهم بما يدور بينهم من سؤال وجواب .

«وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه واجوبته» (لوقا ٢ : ٤٧) .

٢٤ ـ طما الماء : ارتفع وملأ النهر . طما البحر : امتلا .

٢٥ ـ نوه بالشيء : رفع ذكره ومدحه وعظمه .

من أمثال موسى وسليمان وصموئيل ذكاء لامعا وحكمة بالغة وهم بعد أحداث ، مما يؤخذ منه انهم وان لم يكونوا من ابناء الآلهة قد حباهم المولى من لدنه قوة خارقة .

١١ ـ ومن الخير ان يعمد الطفل الإلهي بغمسه في الماء او بنضحه به فان ذلك يمحو عنه ما هو عالق به من ذنوب أسلافه .

١٢ ـ ومن نافلة (٢٦) القول ان يصدف هذا الإله المتجسد عن مباهج هذه الدنيا الفانية وان يخلد الى حياة زهد ونسك وان يلتزم الصيام حينا من الدهر .

١٣ ـ ثم يدعو الخلق الى التدين بدين روحاني معلنا في صراحة «ان مملكته ليست من هذا العالم» ويرسل من لدنه رسلا ينشرون دينه في شتى الاصقاع .

١٤ ـ ويشتمل دينه على عقيدة الخطيئة الاصلية والفداء والتثليث والكلمة والغفران والإله الغضوب والعذاب السرمدي في اليوم الآخر .

١٥ ـ ويمسح هذا الاله بالزيت .

١٦ ـ ويلقب بألقاب «المخلّص» و«ابن الله» و«الفادي» و«الرب» وما الى ذلك .

١٧ ـ ثم ينفذ العمل الجليل الذي خلى من اجله كرسيه في السماء وهبط الارض الا وهو التكفير عن آثام البشر .

***

كان البدائيون الوثنيون في الجاهلية يتخبطون في ظلمة عقلية طامسة وقد ملكت عليهم أمرهم نوازعهم الوحشية فلم تدع في

---

٢٦ ـ النفل والنافلة : ما تفعله مما لم يجب .

نفوسهم مجالا يزدهر فيه الحب والرحمة والغفران بل اوجبت عليهم ان يكفروا بالدم كلما انتهك ناموسهم الخلقي .

«وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم
وبدون سفك الدم لا تحصل مغفرة» (عبرانيون ٩:٢٢).

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
(المتنبي)

وكانوا يعللون ما يشهدون من ظواهر طبيعية هوج (٢٧) وما يدهمهم من نكبات جسام بأن الآلهة حانقون عليهم لآثام اجترحها بعض منهم ، فيتوسلون الى الآلهة بحرمان انفسهم الطيبات وبإزلاف (٢٨) الهدايا الى اولئك الآلهة على نحو ما يصنعون مع الحكام . ولما لم يكن ميسورا عليهم ان يحملوا تلك القرابين الى حيث يتبوأ الآلهة عروشهم في السماء ـ عمدوا الى نحرها وحرقها لتتصاعد مادتها او جوهرها قتارا (٢٩) يشتمه الآلهة فتطيب بريحه نفوسهم (٣٠) .

---

٢٧ ـ الهوجاء : التي تتصف بالحمق والطيش والريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت ج هوج ، يقال لعبت بها هوج الرياح .

٢٨ ـ زلف : تقدم و ـ به : تقرب . أزلفه : قربه .

٢٩ ـ القتار (بالضم) والقتر (بفتحتين) الدخان من المطبوخ .

وقول اليهود إله يحب رسيس العظام وريح القتر
(ابو العلاء)

٣٠ ـ «وبنى نوح مذبحا للرب ... واصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا» (تكوين ٨ : ٢٠ ـ ٢١) .

«وان كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف فانا اسلك معكم بالخلاف ساخطا وأود بكم سبعة أضعاف ... ولا أشتم رائحة سروركم» (لاويون ٢٦ : ٢٧ ـ ٣١) .

كانت القرابين في باديء الامر تتخذ من الخضر والفاكهة ثم زين للقوم انهم كلما زادوا في البذل ازداد رضوان الآلهة عليهم، فعمدوا الى التضحية بالمعزي والضأن وسائر الماشية ، ومن ثم قبل قربان هابيل الراعي دون قربان قايين (قابيل) الأكار (٣١) .

وبدا لهم في زمن ما ان يغالوا في التملق للآلهة ، فامتدت الايدي السفاكة الى بني البشر تنحرهم على المذابح كما حدث لابنة يفتاح الجلعادي (٣٢) ، ثم ضربت شهوتهم الى سفح الـدم فاشتطوا وجروا احد الآلهة الثلاثة من فوق العرش وانزلوه من علياء سمائه وازهقوا أنفاسه تكفيرا عما اكتسبوه هم من آثام .

لقد القوا بذنوبهم ومعاصيهم على عاتق هذا «الاله المطلق» كما كان اسلافهم اليهود يصبون آثامهم علـــى راس «التيس المطلق» (٣٣) وقد أسموا هذا الإله المطلق حمَل الله وهي التسمية التي كانت تطلق عليه في المكسيك من ازمنة بعيدة . وسرعان ما نما حمَل الله هذا وترعرع فجعلوه لهم كبش فداء .

---

٣١ ـ «وحدث من بعد ايام ان قايين قدم من أثمار الارض قربانا للرب . وقدم هابيل ايضا من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر ...» (تكوين ٤ : ٣ ـ ٥) .

٣٢ ـ «ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا ان دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمـــون يكون للرب واصعده محرقة ... ثم اتى يفتاح الى المصفاة الى بيته . واذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص . وهي وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها... ففعل بها نذره الذي نذر» (قضاة ١١ : ٣٠ ـ ٣٩) .

٣٣ ـ «ويضع هرون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيآتهم معكل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم» (لاويون ١٦ : ٢١ ـ ٢٢) .

١٨ ـ وكانوا يرون انه ما من ميتة أنكر من ميتة المصلوب فآثروها للاله الذي قدم ليكفر بدمه عن آثامهم .

١٩ ـ وبما ان حدثا جللا كصلب الاله لا يسوغ ان يمر في سهولة دون ان ينتبه له فقد أتاحوا للطبيعة ان تبدي أسفها عليه وجزعها (٣٤) منه .

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

لقد أظلمت الشمس عند الظهيرة حينما صلب كرشنا وما عتم القمر ان اكتنفته سحابة حجبت ضياءه وأمطرت السماء نارا ورمادا .

وتزلزلت الارض عندما صلب برومثيوس وتشققت الصخور وتفتحت القبور وهبت ريح زعزع عاتية اوشكت ان تعصف بالكون كله .

وتوارت الشمس بالحجاب كذلك عندما جاد اوزيريس بأنفاسه وهلم جرا .

٢٠ ـ ولكن موت الاله لا يجوز ان يكون أبديا والا كان ذلك انتصارا للشيطان ، واذن فليخرج الاله الميت من جدثه بعد ثلاثة ايام . نافضا عنه غبار الموت ، وليكن هذا البعث في أنسب وقت لذلك أي على مقربة من الاعتدال الربيعي (٣٥) .

لقد هب من الموت آلهة كثيرون منهم المخلّص المكسيكي كوجز لكوت والمخلص الكلداني كرسي والروماني كويرينيوس والقوقازي برومثيوس والمصري اوزيريس والفريجي (٣٦) ارتس والفارسي مثرا والهندي كرشنا وكانت قيامة كل منهم بعد موارثة

---

٣٤ ـ جزع منه : لم يصبر عليه فاظهر الحزن .

٣٥ ـ اذ يتساوى النهار والليل في الطول .

٣٦ ـ (Phrygia) وهي دولة كانت تشغل الشطر الغربي من شبه جزيرة آسيا الصغرى .

التراب بثلاثة ايام وعلى وجه التحديد في ٢٥ مارس .

٢١ ـ ومن البديهي ان يتوارى الاله المخلّص عقب هذه المعجزة الخارقة ليتخلص من مواجهة الاسئلة التي يتوقع انثيالها عليه . وبما انه انجز مهمته على الارض فقد حق له ان يعود ادراجه . وهذا ما فعله كرشنا ، الأقنوم الثاني في ثالوث الهندوس ، فقد تراءى لتلاميذه بعد قيامته من الموت ثم عرج الى السماء ميمما براهما ، الأقنوم الاول في ذلك الثالوث . وكذلك فعل بوذا . والى السماء ارتقى كذلك كوجزلكوت في المكسيك ولاؤتسي في الصين . وقد أصعد السيدس المصري في السماء تقله مركبة من نار كتلك التي اقلت ايليا (٢ ملوك ٢ : ١١) . وذكر بلوتارك فيما دوّنه من سيرة رومولس مؤسس روما انه قد احتوته عاصفة ثارت في اثناء كسوف للشمس جرى في سنة ٧١٣ ق.م فارتقى فيها الى السماء وأقسم بروكوليس ، من أبرز اعضاء مجلس الشيوخ الروماني ، انه لقي رومولس بعد موته وجاذبه اطراف الحديث .

تلك هي الخطوط العريضة لجميع آلهة الشعوب الوثنية ، وانها لتتماثل في الجملة ابتداء من الحمل بلا دنس الى الصلب والدفن فالقيامة من الموت والتصعد الى السماء ، بل انها لتتشابه احيانا في تفصيلاتها تشابها عجيبا يشمل أهمّ شخوص المأساة من ملائكة وشياطين ورسل يأتون المعجزات حتى لتحس وانت تقرأ سيرة اي منهم انك تقرأ سيرة كل من الباقين .

وأيا ما كان الامر فليس في سيرة يسوع شيء اصلي وانما هي انتحالات من سير مسحاء سابقين ولا وجه لما يدعيه كتّاب المسيحية من ان يسوع المسيح يختلف في كثير عمن في أديان الوثنيين من آلهة متجسدين ومخلّصين مصلوبين .

- ٩ -

مسحاء متعددون

لم يكن يسوع المسيح هو المسيح الوحيد الذي هزته الاريحية فجاد بحياته تكفيرا عن آثام البشر ، بل ان هنالك أفذاذا غيره برزوا في أزمنة وأمكنة شتى آلهة او ابناء للآلهة متجسدين في أثواب مسحاء وشفعاء ومخلّصين ، وسنعرض هنا في ايجاز يسير جملة منهم .

١ ــ كرشنا :

وقد صلب في الهند نحو سنة ١٢٠٠ ق.م ، وقد أفردنا له الفصل التالي .

٢ ــ مثرا :

وقد ولد يوم ٢٥ ديسمبر في كهف وصلب في بلاد الفرس قرابة سنة ٦٠٠ ق.م تكفيرا عن آثام البشر . وكان له في تلك البلاد شأن عظيم ، وهو معبود الفدا . وأوجه الشبه كبيرة بين عبادته وعبادة المسيح .

أ ــ فقد ولد مثرا من إلهة عذراء .

ب ــ ومجّده الرعاة وازدلفوا اليه ببواكير الفواكه والثمار .

ج ـ وتنطوي ديانته على عقيدة الكلمة وعلى الثالوث .

هذا وقد اشتق اسم مثرا من الكلمة الفارسية «مهر» Mihr وهي ذات معنيين هما : «الشمس» و«الصديق» ولذا كان مثرا يمثل الشمس والمحبة وخلوص النية ويشفع بين أهورا ـ مزدا وأرمزد أي بين الخير والشر ، ومن ثم اصبح مخلّصا من المخلصين ومسيحا من المسحاء .

٣ ـ بوذا سكيا :

وقد صلب في الهند سنة ٦٠٠ ق.م وكان أشياعه يلقبونه بألقاب منها «مخلّص العالم» و«نور العالم» و«ينبوع الحياة» .

لقد أشفق ان يعاني البشر ما استأهلوه على خطيئاتهم من عقاب فبرح الفردوس وهبط الارض ليرفع عن الناس خطاياهم ويضع عنهم أوزارهم .

كانت أمه طاهرة ورعة مهذبة لا يهجس في ضميرها فكر خبيث ولا يجري على لسانها لفظ بذيء ولا يصدر عنها فعل مناف للعفة ، وقدر الناس لها ما تحلت به من فضيلة وما شرفت به من أمومة الاله فكانوا يلقبونها بـ «العذراء المقدسة» و«ملكة السماء» ، وكانت تحف بها في حلها وترحالها زمرة من فضليات النساء ، وكانت الاشجار تنثني بين يديها حين تمر بها وهي تجوس خلال الغابة ، وتنجم الازهار ، أينما وطئت قدماها الثرى .

وما ان ولد الطفل الالهي حتى انتصب واقفا يقول «سأضع نهاية لما يعانيه العالم من آلام وأحزان» . وما عتم المخلّص الصغير ان احاطت به هالة من نور . وقد اعتكف ردحا من حياته ، وحاول ابليس اللعين ان يغرر به ويزجه في طريق الغواية فعرض عليه ان يحبوه كل ما يزخر به العالم من جاه وثراء فتأبّى ذلك الإله واستعصم وزجر ابليس قائلا «اذهب لا تعوقني» (١) .

---

١ ـ «حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان» (متى ٤ : ١٠) .

وبدأ وقد دنا من الخامسة والعشرين يبشر بانجيله ويبرىء المرضى على النحو المعهود في سيرة يسوع . ومن قوله في الاعتزاز بما اتى من معجزات «لقد أبصر العمي وسمع الصم ونطق البكم واستقامت الظهور المقوسة» (٢) . وبهرت أعماله القوم فجعلوا يتنادون : ما هذا بطفل من الفانين . ان هو الا إله متجسد .

وقد أرداه أعداؤه قتيلا لانه قطف زهرة من احدى الحدائق(٣). ولا يرى أشياعه في هذه الفعلة جريمة اقترفت بل هي عندهم مجرد تعلة اقتضتها الحاجة الى انفاذ القتل فيه حسبما انعقدت عليه النية من قبل .

وتناهت به الرحمة والحنان عقب قيامته من الموت فهبط الجحيم (٤) ولبث فيها ثلاثة ايام يأسو (٥) نزلاءها ويفصح لهم عن عطفه عليهم . ونفح العالم بعد ذلك شرائح ونواميس تسمو بالنفس البشرية وأهاب بالناس ان ينكروا انفسهم ويكبتوا عواطفهم

---

٢ ـ «فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون» (متى ١١ : ٤ ـ ٥) .

٣ ـ وقد نطق يسوع بأنه اقتطف هو وتلاميذه بعض سنابل القمح وفي يوم سبت على ما سبق القول .

«واجتاز في السبت بين الزروع . فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسيون انظر . لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل» (مرقس ٢ : ٢٣ ـ ٢٤) .

٤ ـ «الذي فيه ايضا ذهب فكرز للارواح التي في السجن . اذ عصت قديما حين كانت أناة الله تنتظر مرة في ايام نوح اذ كان الفلك يبنى» .

٥ ـ أسا الجرح : داواه . أسا الرجل : عزاه .

ويقمعوا اهواءهم ويصبروا على الضيم ويستقبلوا الموت في غير ما جزع والا يأسوا (٦) اذا ما عثر بهم الجد ولازمهم سوء الطالع .

ودينه قريب من الكمال ، يدعو الى الاخـــاء والمساواة بين البشر طرا دون تفرقة بين مختلف الشعوب والطبقات او تمييز بين الجنسين الذكر والانثى لأن الناس على تباين أجيالهم وطبقاتهم يؤلفون مجتمعا يكابد الشقاء على أديم الغبراء ، تنساب فوقـه دموعهم كأنها جداول تترقرق بالمآسي وتفيض بالاحزان . ومن قوله «ان ناموسي هو الغفران للجميع» .

٤ ـ كوجز لكوت :

وقد صلب في المكسيك سنة ٥٨٧ ق.م وسجلت هـــذه الحادثة في صفائح معدنية تصوره احداها مصلوبا فوق قمة جبل وتصوره ثانية مصلوبا في السماء على النحو الذي زعمه القديس جوستين (٧) ليسوع المسيح وتصوره ثالثة مصلوبا بين لصين وقد نفذت المسامير فيه الى خشب الصليب .

وقد تحدث كل من كتابـــي (Codex Borgianus) و (Codex Vaticanes) من ام عذراء تدعى تشملن واعتماده بالماء وصيامه اربعين يوما وتجربة ابليس اياه وامتطائه متــن جحش ومسحه بالزيت ثم صلبه بين لصين ودفنه وهبوطه الجحيـــم فقيامته من الموت في اليوم الثالث وعروجه (٨) الى السماء .

---

٦ ـ آسي عليه : حزن . أسى لفلان : حزن له .

٧ ـ القديس جوستين الشهيد او جوستينيوس الفيلسوف ولد في نابلس بين سنتي ١٠٠ م و ١١٠ م .
درس المذاهب الفلسفية ودرّسها في مدرسة انشأها في روما . استشهد نحو سنة ١٦٥ م .

٨ ـ عرج الرجل في السماء : ارتقى ، ومنه «تعرج الملائكة والروح اليه».

٥ ـ برومثيوس :

وقد صلب في القوقاز سنة ٥٤٧ ق.م جائدا بنفسه في سبيل البشر ، ويؤخذ مما كتبه سنكا وهسيود ومن اليهما ان صلبه كان عند مضايق قزوين في ساق شجرة ثبتت فيها ذراعان من الخشب . وذكر هجنز في معجمه الكلاسيكي ان زهوق نفسه اقترن بزلزلة تفلقت لها الصخور وتشققت القبور وبعاصفة هوجاء اجتاحت الكون حتى أشفى على الفناء .

وقد كانت أسطورة صلب برومثيوس ودفنه ثم قيامته من الموت تمثل على مسارح أثينا تمثيلا ايمائيا [٩] قبل المسيح بخمسة قرون .

٦ ـ كيرينوس :

وقد صلب في روما سنة ٥٠٦ ق.م ، وهو يشبه يسوع المسيح في انه :

أ ـ ولد من أم تنتمي الى أسرة مملكة .

ب ـ حملت به بلا دنس .

ج ـ وسعى الملك الطاغية «أموليوس» للفتك به .

د ـ ثم صلبه الاشرار .

هـ ـ وعندما زهقت روحه غمرت الظلمة وجه الارض .

و ـ بيد انه ما عتم أن قام من الموت .

---

٩ ـ (Pantomime) اي تمثيلا صامتا ليس فيه متن ينطق به .

- ١٠ -

مسيح اليهود ومسيح الهنود

من بين أولئك الآلهة الذين تفضلوا بالنزول عن عروشهم في السماء وهبطوا الارض بالولادة ليتجرعوا كؤوس الآلام ويلفظوا انفاسهم تكفيرا عن آثام البشر ، اخترنا إلها قديم العهد جليل القدر نسهب في الترجمة له لنكشف عن التماثل الملحوظ بين سيرته وسيرة يسوع المسيح ، ذلك هو «ربنا ومخلّصنا» كرشنا زيوس او كرشنا يسيوع Jeseus حسبما يتهجى بعضهم اسمه . وسيرته مدونة في كتاب الهندوس المقدس (Baghavat gita) وهو أقدم من كتاب اليهود المقدس ، وكان الهندوس يتناقلون تلك السيرة قبل مولد يسوع باثني عشر قرنا . وبين السيرتين مشابه وتتجاوز الثلاثمائة عدا ، نجتزيء بذكر طائفة منها :

١ ــ التشابه الوثيق بين أهم الاسماء في كلتا القصتين :

كرشنا (Chrishna)	كرست (أي المسيح) (Christ)
يسيوع (Jesus)	يسوع (Jesus)
مايا (أمه) (Maia)	ماريا (مريم) (Maria)
ماطوره (Mathuru)	مطريه (Matareeh)
(وهي البلدة التي فر اليهـــا نجاة ببدنه) .	وهـــي التي اصبحت الآن تسمى المطريه .

٢ ـ ان كلا منهما إله حقيقي متجسد في هيئة البشر وهـــو الأقنوم الثاني في الثالوث .

٣ ـ وانه حالّ في كل مكان (١) وقادر على كل شيء .

٤ ـ وذو وجود مزدوج فهو في السماء والارض معا .

٥ ـ وقد صرح بأنه كان قبل ان يكون احد من الناس .

٦ ـ ومن أسمائه الحسنى «الرب» و«المخلّص» و«مخلص العالم» و«الراعي» و«النور» و«الحياة» و«البعث» و«الطريق الـى الاب » .

وقد كان يسوع يدعى «بداية النهاية» وكرشنا يدعـى «البداية والوسط والنهاية» وكان يسوع يدعى «أسد سبط يهوذا» وكرشنا يدعى «أسد قبيلة ساكي» .

٧ ـ وقد ولد كل منهما من أم عذراء حملت به من روح أو طيف.

٨ ـ وكانت تلك الأم معروفة بالتقى والورع .

٩ ـ وقد قامت بعد ولادته بأداء منسك التطهر .

١٠ـ ثم رزقت أطفالا آخرين من صلب اب من البشر (٢) .

---

١ ـ ومن المتصوفة فرقة تدعي الحلولية تقول ان الله حال في كل شيء وفي كل جزء من الشيء متحدا به حتى جوزوا ان يطلق على كل شيء انه الله .

٢ ـ «اليس هذا هو النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان اوليست اخواته ههنا عندنا» (مرقس ٦ : ٣) .

١١ــ وكان مقدم كل من الطفلين الإلهيين حدثا متوقعا تحدث به انبياء سابقون .

١٢ــ ووقع ميلاد كل منهما في ٢٥ ديسمبر .

١٣ــ في مكان خارج البيت .

١٤ــ ووفد على الطفل الالهي نفر من الحكماء والرعاة اهتدوا اليه بنجم ما فتىء يسير في السماء حتى وقف على راسه [٣] .

١٥ــ فأتحفوه بطرف من البخور والمر .

١٦ــ واقبل جمع من الملائكة على العذراء مايا أم كرشنا يرنمون في جذل وحبور .

بولادتك ايتها المنعم عليها بين النساء يحق لشعوب العالم طرا ان تبتهج .

وحدث مثل ذلك بعد ١٢٠٠ سنة لمريم أم يسوع ، فقد «ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين لله وقائلين : المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة» (لوقا ٢ : ١٣ــ١٤) .

١٧ــ وقد حظي كل من الطفلين فوق الارض برجل كان له بمكانة الاب اتخذ منه ربيبا له وتعهده بالعناية والرعاية .

١٨ــ وكان هذا الاب بالتأبي [٤] نجارا ، أما الاب الحقيقي فهو الله .

١٩ــ وكان الحاكم هيرودس يتوقد ضغنا على الطفل يسوع كما

---

٣ ــ «اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم . قائلين اين هو المولود ملك اليهود . فاننا رأينا نجمه في المشرق واتينا لنسجد له ... واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي» (متى ٢ : ١ ــ ٩) .

٤ ــ تأباه تأبيا : اتخذه أبا .

كان الحاكم كنزا يبغض الطفل كرشنا ويعمل على إهلاكه .

٢٠- فوفد الى أهل كل منهما ملك سماوي يبصرهم بالخطر المحدق به .

٢١- وامر كل من الطاغيتين باصطلام جميع الاطفال الذكور ممن لم يتجاوزوا السنتين في البلد الذي هو مظنة وجود الطفل المخوف فيه .

٢٢- بيد ان أبوي كل منهما كانا قد هربا بطفليهما الى حيث يكفلان له الطمأنينة والامن (٥) .

٢٣- فأما كرشنا فقد جعل ملاذه بلدة ماطورة ، وأما يسوع فقد سكت اصحاب الاناجيل عن بيان الجهة التي قصد اليها في مصر ومدى اقامته بها، بيد ان الحكايات القديمة تقول انه تغيب عن فلسطين سنتين أوطن خلالهما ببلدة مطرية Matareeh الى الشمال الشرقي من القاهرة وعلى مبعدة كيلومترات قليلة منها . وقد نقل شمنتس عن بطرس الشهيد مطران الاسكندرية في القرن الثالث انها اصبحت بعد ذلك تسمى المطرية .

٢٤- وقد تعمد يسوع بالاغتسال في نهر الاردن واغتسل كرشنا في نهر الغنج .

٢٥- وكان كل منهما في طفولته يماري العلماء ويظهر عليهم . ذكر انجيل الطفولة ان زخياس معلم يسوع بهره ما طالعه به الطفل من نجابة وفطن ، وجاء في «الكلمة الإلهية» ان والدي كرشنا أرسلا به الى فقيه من البراهمة ليتأدب عنه فاذا

---

٥ - وقد نجا الطفل كرشنا من المذبحة التي اعدت له بطريقة فريدة مستغربة ، فانه ما كاد يقبل على نهر جمنا حتى انفلق فعبر هو وابواه من عبر الى عبر سعيا على الأقدام ، شأنهم في ذلك شأن موسى وقومه في عبورهم البحر الاحمر وشأن يشوع بن نون وقومه في عبورهم نهر الاردن تجاه أريحا .

الفقيه قد الجمته الدهشة لما أبداه الطفل من بسعة المدارك ووفور المعارف وجودة القريحة وذرابة اللسان مما جعل المجامع العلمية تقر له من اول يوم بتفوقه عليها . ولما رأى الناس ذلك صارحوا نندا بأن هذا الطفل لا يمكن ان يكون ابنه .

٢٦- عاش كل منهما عزبا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

٢٧- وعرف كل منهما بالوداعة والحلم والرحمة وحب البشر ، وكان يتقبل ما يركب به من الاهانة والاذى دون مقاومة .

٢٨- وقضى كل منهما شطرا كبيرا من حياته يلقي المواعظ ليهدي الناس بها سواء السبيل .

٢٩- وقد اعتزل كرشنا المجتمع في ريق (٧) شبابه واوطن بالبادية (٨) .

٣٠- واحيا كل منهما منسك الصيام .

٣١- وعاش في بؤس واتضاع صادفا عن الغنى والاغنياء .

٣٢- وادعى لنفسه حقا خاصا في اغتفار الذنوب .

٣٣- وعني بمن تاب من الخطاة أضعاف عنايته بالصالحين التقاة.

٣٤- وقد لابس الخاطئات فنقم بعضهم ذلك منه .

٣٥- وضمخت امراة كلا منهما بالزيت .

٣٦- ولقي كل منهما امراة اجنبية عند بئر . وأبدى مقدرة على استشفاف أفكار الناس .

---

٦ - «وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته» (لوقا ٢ : ٤٦-٤٧) .

٧ - الريق : اول الشباب ، يقال «مضى روق الشباب وريقه» اي أوله. وريق كل شيء أوله وافضله .

٨ - «واما هو فكان يعتزل في البراري ويصلي» (لوقا ٥ : ١٦) .

«وكانت هناك بئر يعقوب ... فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء ... قال لها يسوع حسنا ليس لك زوج لانه كان لك خمسة ازواج والذي لك الان ليس هو زوجك» (يوحنا ٤ : ٦ ـ ٨) .

٣٧ـ وفرش كل منهما طريقه بالمعجزات وطرد الشياطين وشفاء المرضى ، فأبرأ البرص واسمع الصم وانطق البكم وابصر العمي واحيا الموتى وبعث القديسين أحياء ، وفوق ذلك ساعف الضعفاء واغاث المستذلين ونفس عن المحزونين .

٣٨ـ ومنح كل منهما تلاميذه القوة التي تسني له اتيان معجزات من هذا القبيل .

«إشفوا مرضى . طهروا برصا . أقيموا موتى . اخرجوا شياطين . مجانا اخذتم مجانا اعطوا» (متى ١٠ : ٨) .

ومنحهم كذلك سلطان غفران الخطايا والذنوب :

«من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه امسكت» (يوحنا ٢٠ : ٢٣) .

٣٩ـ ولكل منهما قصة لم يقو فيها تلاميذه على جذب شبكتهم لفرط ما غضت به من أسماك .

٤٠ـ وقد صرح كل منهما بأنه لم يات لإبطال الدين القائم بل لاكماله وتنقيته مما يشوبه ودعم سلطانه .

٤١ـ واحدث كل منهما تجديدا في ذلك الدين ، وبمقدم كل منهما اصبح كل من كتابيهما المقدسين يتكون من «عهد قديم» و«عهد جديد» تضاف اليهما أسفار غير موثوق بها .

٤٢ـ وبعث كل منهما رسلا يبثون ديانته الجديدة ويلقنون الناس انهم يحملون عبء خطيئة فادحة لا مناص من التكفير عنها وان الاله سيكفر لهم عنها جائدا بحياته .

٤٣ـ والغى كل منهما نظام الوراثة الذي كان في دستور الكهانة القديم .

٤٤ـ وناصب رجال الكهنوت كلا منهما العداء وتصدوا لـــه معترضين وتعقبوه بالاضطهاد .
٤٥ـ وختم كل منهما جهاده في الحياة بعشاء اخير .
٤٦ـ ثم مات كل منهما مصلوبا بين لصين .
٤٧ـ وعمر كل منهما يذرف قليلا على الثلاثين .
٤٨ـ فلما أسلم كل منهما الروح لف الظلام الكون .
٤٩ـ ثم توجه كل منهما بزيارة للجحيم .
٥٠ـ ثم هب من بين الموتى وعاد أدراجه الى السماء مصعدا في الجو والناس حضر شهود .
٥١ـ وتماثل العقيدة التي يبثها كل منهما على ألسنة تلاميـــذه العقيدة الاخرى .
٥٢ـ فكلتاهما تقول بأن للانسان ارادة حرة ، وتفرض عليه ان يقاوم دواعي الاغراء على الإثم ، فان فرطت منه اساءة حق عليه ان يندم عليها .
٥٣ـ فان المقام في الدنيا موقوت وسيبعث الناس جميعا في يوم الدينونة ليحاسبوا على ما اجترحوا .

«فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحيوة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة» (يوحنـــا ٥ : ٢٩) .

وسيشهد على كل منهم شاهدان . ثم يجازى كل امرىء بما يستحق من ثواب او عقاب ، فاما الى نعيم مقيم وإما الى عذاب الجحيم .
٥٤ـ وهناك جحيمان : جحيم ظلماء الجوانب .

«وأما بنو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان» (متى ٨ : ١٢) .

وأخرى نارها تتلظى :

«ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكـــاء وصرير الاسنان» (متى ١٣ : ٤٢) .

ويسعى في كلتيهما دود لا يموت :

«حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ» (مرقس ٩ : ٤٦) .

٥٥ـ وثم مطهر اي مثوى في منتصف الطريق بين الجنة والنار.

٥٦ـ ويؤخذ من هاتين العقيدتين ضمنا انهما تقولان بالقضاء والقدر ، وما المرء الا ورقة نصيب قد تكون من حظ الله او من حظ الشيطان ، وكل ما يبتلى به الجسم والروح مقدر عليهما .

«وكان ذات يوم انه جاء بنو الله امام الرب وجاء الشيطان ايضا في وسطهم ليمثل امام الرب . فقال الرب للشيطان من اين جئت . فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الارض ومن التمشي فيها . فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب ، لانه ليس مثله في الارض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر . والى الان هو متمسك بكماله . وقد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب . فأجاب الشيطان الرب وقال : جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لاجل نفسه ولكن ابسط الان يدك ومس عظمه ولحمه فانه في وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه . فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه الى هامته» ... (أيوب ٢ : ١ ـ ٧) .

٥٧ـ تقول كل من العقيدتين بالثالوث الالهي .

٥٨ـ وتستخدم لفظ «كلمة» للدلالة على «الله» في هذا الصدد كما تستخدم لهذا الغرض لفظي «النور» و«الحق» .

٥٩ـ وتسمى المؤمنين الصادق ايمانهم ب «القديسين» ومنهم من يرتدون الأكسية البيض .

٦٠ـ وقد وردت في كل من الكتابين المقدسين كلمة «رامه» .

«صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير»
(متى ٢ : ١٨) .

٦١ـ وتحدث كل منهما مجازا عن الاعمى الذي يقود اعمى .
«اتركوهم هم عميان قادة عميان . وان كان اعمى يقود اعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (متى ١٥ : ١٤ ولوقا ٦ : ١٩) .

وعن سماء جديدة وأرض جديدة

٦٢ـ يقول دين كل منهما بوجود الارواح الخيرة والارواح الشريرة او الملائكة والشياطين .
٦٣ـ وبأن الملائكة تحمل أرواح الناس الى السماء .
«فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم»
(لوقا ١٦ : ٢٢) .
٦٤ـ وبأن الامراض رجس [٩] من عمل الشيطان .
٦٥ـ وبأن الله يعرف بأعماله .
٦٦ـ وبأن الشرير لا يصدر عنه الخير في قول او فعل .
«الانسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات . والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور» (متى ١٢ : ٣٥) .
٦٧ـ ويعلم كل من الدينين الحلم في الامور الدينية .
٦٨ـ وينظر كل منهما الى الشعوب المختلفة على انها سواء ، ويدع أبواب الخلاص مفتحة في وجه الغني والفقير ، الرفيع والوضيع ، النابه والخامل دون تمييز .
٦٩ـ ويقول كل منهما بأن الآثام توبقنا في الدارين .
٧٠ـ ويحث على الصيام .

---

٩ ـ الرجس : القذر و ـ العمل المؤدي الى العذاب .

٧١- وينهي عن عبادة الاصنام .
٧٢- ويستبعد التضحية استبعادا كليا او جزئيا مما جعل قيمتها ترتد الى مكانة ثانوية .
«اني اريد رحمة لا ذبيحة» (متى ١٢ : ٧) .
٧٣- وينأى بنفسه عن مشكلة تعدد الزوجات فلا يخوض فيها مؤيدا او مندداً .
٧٤- ويزعم ان عقيدته هي الايمان بالواحد الصادق المخلّص .
٧٥- وتشمل كل من العقيدتين التعميد بالماء والتعميد بالنار .
«اجاب يوحنا الجميع قائلا انا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا ان احل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (لوقا ٣ : ١٦) .

الروحانيات

٧٦- اتخذ كل منهما الصليب رمزا دينيا ، وكان يرى في الصليب مجداً وفي تجرع غصص الالم فضيلة وفي امتهان الجسد واجبا لان الجسد عنده عدو للروح .
٧٧- وجعل الصلب الروحي جزءا اساسيا من الدين ، ونعني به انكار النفس وكبح العاطفة والزهد في مباهج الحياة واعتزال المجتمع .
٧٨- ومن فرائض الدين ان يخلو المرء بنفسه للتأمل في كنه دينه.
٧٩- وعند كل منهما ان الموت كسب كبير .
٨٠- وأن الطريق الى السماء (اي الى الجنة) ضيق وعر .
«ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي

يؤدي الى الحيوة . وقليلون هم الذين يجدونـــــه»
(متى ١٧ : ١٣ ــ ١٤) .

٨١ــ يفسر كل منهما كتابه المقدس تفسيرا روحيا غير التفسير الذي يستفاد من ألفاظه .

٨٢ــ ويؤمن بأن للانسان جسما وروحا .

٨٣ــ وقد تحدث كل منهما عن الميلاد الثاني للانسان .
«ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣ : ٥) .

٨٤ــ وكان تلاميذ كل منهما يشرئبون الى بلوغ الكمال الديني .

الايمان

٨٥ــ الايمان أمر جليل الخطر ، والشك خطيئة فادحـــة . ولا خلاص بغير الايمان بالمخلّص .
«من آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمـــن يدن »
(مرقس ١٦ : ١٦) .

٨٦ــ وبالايمان تستطيع ان تنقل الجبال .
«لاني الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبـــل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له» (مرقس ١١ : ٢٣).

٨٧ــ ولكن الايمان يكون ميتا ما لم يقترن به العمل .
«ما المنفعة يا اخوتي ... ان قال احد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال . ان كـــان اخ واخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي فقال لهما احدكم امضيا بسلام استدفيا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات للجسد فما المنفعة . هذا الايمان ايضا ان لم يكن له أعمال ميت.. لانه كما ان الجسد بدون روح ميت هكذا الايمـــان ايضا بدون أعمال ميت» (يعقوب ٢ : ١٤ ــ ٢٦) .

الصلاة

٨٨ـ الصلاة منسك هام ، ولها صيغة معلومة .

«فصلئوا انتم هكذا . ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك ... آمين» (متى ٦ : ٩ ـ ١٣ ، لوقا ١١ : ٢ ـ ٤) .

«وعلى المرء ان يؤديها على حاليه من صحة ومرض. ويجمل به أن يفرد لادائها مكانا خاصا يتخذه مصلى.

معاملة العدو

٨٩ـ يقضي كل من الدينين بمحبة العدو والاحسان اليه وتزويده بالطعام والصلاة من اجله .

«أحبوا اعداءكم . احسنوا الى مبغضيكم . باركوا لاعنيكم ... وان أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم» (لوقا ٦ : ٢٧ ـ ٣٢)

العصر الالفي
الذي يملك فيه المسيح

٩٠ـ يعتقد اتباع كل من الدينين بعودة مخلصهم لاصلاح ما اختل من نظام الدنيا وتقويم ما اعوج من سلوك الناس . والتفصيلات متشابهة ، فان يسوع الذي يجلس في الوقت الحاضر عن يمين الله ستكون منه الرجعى الى الارض تكتنفه السحب لكي يحيي الموتى ويؤسس مملكة ويكون له الحكم في العالمين .

«وأما في تلك الايام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه . ونجوم السماء تتساقط

والقوات التي في السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقـــــوة كثيرة ومجد » (مرقس ١٣ : ١٤ ــ ٢٦) .

طاقة من احاديث كرشنا

كان كرشنا ، كما كان يسوع ، يعلّم الناس فيضرب لهـــم الامثال .

« فكلمهم كثيرا بأمثال» (متى ١٣ : ٣ ، مرقس ٤ : ٢) .

ويلقي عليهم المواعظ داعيا الى مكارم الاخلاق ، ومن ذلك انه قفل الى مادورا من احدى رحلة . فاذا القوم قد فرشوا الارض بأغصان النارجيل (١٠) وخفوا للقائه .

«وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق» (متى ٢١ : ٨) .

فجعل كرشنا يستحثهم على نشدان السلام ، وجاء في عرض كلامه :

يا اهل مادورا ، عليكم بحماية الضعفاء ، وليكن كل منكـم جنة (١١) لصاحبه . ولا ينتقم احدكم من عدوه لما اخطأ بــــه في حقه .

وفي أقوال كرشنا من سلامة الفكرة وعمق الحكمة ما لا يقل عما في أجود الاقوال المنسوبة الى يسوع المسيح ومن ذلـــك

---

١٠ ــ النارجيل : جوز الهند ، ومنه النارجيلة وهي (الشيشة) او الجوزة التي يدخن فيها التبغ .

١١ ــ الجنة : كل ما وقي من سلاح وغيره ، ويقال الصوم جنة : وقاية من الشهوات .

قوله :

١ ـ إفعل الخير وليكن حافزك الى ذلك مقتك الشر لا مخافتك العقاب .

٢ ـ الفضيلة قوام الروح كما ان العضلات قوام الجسد .

٣ ـ اذا مت خلفت وراءك في الدنيا ما قنوت من مال ، بيد ان فضائلك ورذائلك تتبعانك .

٤ ـ انت بإيثارك العفو عن الاعداء تصطنع الكثير من الاصدقاء .

٥ ـ كما ان شجرة الصندل تعطر الفأس التي تجتثها ، ينفح الرجل الخير أعداءه بطيب شذاه .

٦ ـ كن حربا على رذائل الناس ، سلما لأشخاصهم .

٧ ـ لا يهنك ان تجد امرءا غيرك زلت به القدم .

٨ ـ الأريب (١٢) يحكم عواطفه وغير الاريب ينقاد لها .

٩ ـ تجاوز عما يأتيه غيرك من الإساءات وآخذ نفسك بما تأتيه انت منها .

١٠ـ اذا شئت ان تعبد الخالق فابذل للخلق حمايتك وعونك ومحبتك .

١١ـ اقض كل يوم كأنه آخر ايامك .

١٢ـ الميتة الشائنة تسبغ الشرف على صاحبها اذا كانت لغاية سامية .

١٣ـ ليس من شيمة الحكيم الخير المحب للبشرية ان يكون له وفر من المال .

١٤ـ الثراء العريض لعنة على ذويه .

---

١٢ ـ ارب (بالضم) : كان ذا دهاء وفطنة ، فهو أريب .

- ١١ -

محاولة حجب الحقائق

نرى مما تقدم ان يسوع المسيح ليس هو الابن الوحيد لله ولا هو المخلّص الوحيد لبني آدم ، بل ان في كل دين من أديان الشعوب الوثنية ، الا ما ندر ، إلها على غرار يسوع هبط الارض متمثلا بشرا ليخلص الناس من وقر الخطايا التي تثقل كواهلهم ، حتى اذا ما أبلغ رسالته وانجز مهمته عاد أدراجه الى السماء .

وقد لاحظ الفيلسوف الفرنسي باجان Bagin ان التاريخ القديم هو تاريخ الآلهة الذين تجسدوا ليحكموا الجنس البشري.

واذا كان الرسول بولس قد ظل على غير بصر بأن ثم مسحاء غير مسيحه جادوا بأنفاسهم الزكية فوق الصليب تكفيرا عن آثام بني الانسان .

«لاني لم اعزم ان اعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح وإياه مصلوبا» (كورنثوس ٢ : ٢) .

فلا غرو ان يعمى المتدينون بالاديان الاخرى عن هذه الحقيقة الساطعة فلا يعرف الهندوس بينهم الا كرشنا وإياه مصلوبا ولا يعرف الفرس الا مثرا واياه مصلوبا ولا يعرف المكسيكيون الا

كوجز لكوت وإياه مصلوبا .

هنالك شعوب شتى يؤمنون بمسيح ولكن ليس بـ «المسيح»، وهم يدللون بالسبق في التاريخ على ان «المخلّص» ولد بين ظهرانيهم ، ومن المسلم به ان المسيحية أحدث عهدا من الوثنية فاذا كان ثم انتحال فالمتأخر زمنا هو المنتحل . والمنطق يقضي بأنه اذا كانت قصص صلب اولئك الآلهة حقائق ماثلة كانت قصة صلب يسوع المسيح لا مرية (١) من نسج الخيال ، واذا كانت تلك القصص من نسج الخيال كانت قصة صلب يسوَع المسيح هي الاخرى خيالا منسوجا .

وعندما غزا الاوربيون بلاد الشرقين الاوسط والاقصى وعاج (٢) كثير منهم بمختلف أقطارهما تناهت اليهم من قصص الآلهة المعبودين في تلك الاقطار ما لا يختلف في كثير عن قصة يسوع ، وشهدت أعينهم سير اولئك الآلهة مدونة على آثار من الجرانيت لم تقو عاديات الزمن على طمس معالمها ولم تتطاول اليها أيدي المتزمتين من محطمي الاصنام (٣) وهي تنطق بأفصح لسان معلنة ان الخوارق والمعجزات التي يزعمون ان يسوع المسيح أتاها

---

١ ـ المرية : الجدل . يقال : ما فيه مرية و ـ الشك ، ومنه «افلا تكن في مرية منه» .

٢ ـ عاج بالمكان وفيه : اقام به ، وعاج على المكان : عطف .

٣ ـ (iconoclasts) وكانت هذه الكلمة تطلق في القرون الميلادية الاولى على اولئك المتعصبين الذين يحطمون تماثيل يسوع وامه لانهم يجدون في صنعها وإقامتها وتداولها مخالفة سافرة للوصية الموسوية الثانية ، تلك التي تنهي عن ممارسة الرسم والنحت وهذا التطرف في التشبه باليهود فيما درجوا عليه من تقاليد هو مبعث كراهة من عندنا من المتزمتين لاقامة التماثيل التي يزينون بها الشوارع واعتراضهم على تمثيل شخصية النبي والخلفاء الراشدين ومن اليهم فوق منصة المسرح او على ستارة السينما .

من تسعة عشر قرنا خلت قد سجلت قبل زمانه بوقت مديد معزوة الى ارباب آخرين .

وكان رجع هذه الكشوف ان هب حماة المسيحية للذياد عنها بمواراة هذه الحقائق عن عيون المسيحيين . ومن ذلك ان السائح الانجليزي مور (Moore) عندما فرغ من وضع كتابه «جمهـــرة آلهة الهندوس» (the Hindo Pantheon) وذاع انه قد ضمنه رسما لكرشنا معلقا على الصليب وقد بدت في جنبه ثغرة من أثر طعنة نجلاء (٤) وجللت هامته هالة (٥) من نور ، سعى اليه بعض جيرانه يسألونه العدول عن نشر كتابه لان ما في تضاعيفه مــن الحقائق حري ان يورث اخوانهم في العقيدة وهناً في ايمانهم وان يثير في نفوسهم الارتياب من اصالة قصة يسوع بوصفه خالقا يكفر عن معاصي خلقه .

وحدث ذات مرة ان عهد مجلس العموم البريطاني الى احد اعضائه في الذهاب الى الهند لوضع تقرير عن كتبها المقدسة وآثارها الدينية فكتب تقريره وسلمه الى أسقف كلكتا ليبعث به الى لندن ، وتمهل هو بعض الوقت في العودة الى بلاده ، فلمـا قفل راجعا القى نظرة عابرة على تقريره فاذا هو قد نزعت أحشاؤه وبترت منه قصة صلب كرشنا بحذافيرها (٦) .

واخرج المرسل الديني موريس كتابا في سيرة نصف إلـــه (demigod) الهندوس هذا ، مغفلا فيه الحديث في صلبه ،

---

٤ ــ «لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم ومـــاء» (يوحنا ١٩ : ٣٤) .

٥ ــ الهالة Halo دارة القمر كالطفاوة لدارة الشمس ، يقال فلان لا يخرج من جهالته حتى يخرج القمر من هالته .

٦ ــ الحذفور : الجانب والناحية ، ويقال : اخـــذ الشيء بحذافيره : بأسره ، او بجوانبه ونواحيه .

وكان ذلك منه عن عمد لا عن جهالة .

وكذلك ستر حماة المسيحية عن المتدينين بها ان بروميثيوس وأبولونيوس وكرشنا ومثرا ومن اليهم لفظوا انفاسهم فوق الصليب ، ودفعهم الحرص على ستر هذه الحقائق الى التزوير في وقائع التاريخ . ومن ذلك ما افتراه بعض كتابهم على مثرا الشفيع من الزعم بأنه مات ذبيحا ، ذلك لانهم ـ مثل بولس الرسول ـ قد وطنوا العزم على الا يعرفوا شيئا الا يسوع المسيح وإياه مصلوبا .

ومن الطريف المعجب ان الآباء المسيحيين عندما جبهوا بكثرة أوجه الشبه بين المسيحية والمثروية كان أقصى ما تفتقت عنه اذهانهم الخصبة في تعليل ذلك هو ان الشيطان بدأ محاربة الايمان الصحيح من قديم بأن جعل المثروية تحاكي سلفا تلك الغوامض mysteries المسيحية المستقبلة .

- ١٢ -

إله الانبات

ألمع جيمس فرايزر (Frazer) في كتابه «الغصن الذهبي» (Golden Bough) الى ان البدائيين في عصر ما قبل الاديان كانوا يمارسون السحر ابتهالا الى قوى الطبيعة ان تؤمّن حصولهم على ما يقتاتون من طعام . ومن ذلك ان تعمد القبيلة الى قتل شيخها طلبا لازدياد خصب الارض وفشو غلتها . ولفت القارئين الى الصلة الوثقى بين تلك السنة الدارجة وبين ما تتضمنه أساطير الاولين من مصرع الإله (اوزيريس ـ تموز ـ ديونيسيس الخ الخ) ثم قيامته من الموت ، وبذلك عبّد الطريق امام المذهب القائل بأسطورية المسيح ، ذلك المذهب الذي كان هو نفسه لا يطمئن اليه، فهو مع اعتقاده ان الاديان نشأت من السحر ومناسكه ، كان يرى ان نشوء حركة دينية ناجحة يتطلب عقلا فذا يولد هذه الحركة وينشئها ويتعهدها بالرعاية . وقد فنّد جون ماكنن روبرتسن (Robertson) شكوك فرايزر هذه بإيضاحه ان الاحوال والملابسات الملائمة قد تهيء لازدهار الدين وانتشاره اكثر مما يصنع العقل الفذ ، وضرب لذلك مثلا ازدهار عبادة ديونيسس

في اليونان وهو كائن أسطوري ما في ذلك شك ، واستطرد قائلا أنه ان كان ثم عقل فذ ساعد في انتشار المسيحية فانه لم يكن عقل يسوع .

وكشف روبرتس عن أوجه الشبه بين مقتل يسوع وقيامته من الموت وبين المصير الذي كان ينتهي اليه آلهة الطبيعة اذ يبذلون حياتهم لإسعاد شعوبهم ويهبون لها لحومهم لتطعمها ودماءهم لتشربها ، متجرعين هم كؤوس المنون عاما إثر عام ثم لا يلبثون أن يرتدّوا أحياء .

لقد جرى الكثير من الشعوب القديمة على ان يقيموا في كل عام ، وفي زمن الاعتدال الربيعي عادة ، منسكا دينيا يبتغون به وفرة حاصلاتهم ، وكانوا يقربون في هذا المنسك أضحية يرمزون بها الى إله الإنبات واليكم أهم ما كان ينبغي ان يتوافر لهذا المنسك :

١ ـ كانوا في اول الامر يضحون بالملك ، ثم جروا على ان يضحوا بابنه عوضا عنه . وبما انهم يعدون الملك خليفة للاله فقد كانوا يطلقون على ابنه «ابن الإله» .

٢ ـ وكانوا يرخصون له قبل التضحية به في الاستمتاع وقتا ما بالتمجيد الخليق بالملوك ثم يقودونه في موكب نصر الى شجرة يشدونه اليها ، وقد يمدون ذراعيه على هيئة الصليب .

٣ ـ واذ كان من المهم ان يتقبل المضحى به هذه التضحية بنفسه عن طواعية ورضا وأن يبدو قرير العين هانىء البال بها فقد جروا على ان يعاطوه من المسكرات والمخدرات ما يوشك معه ان يغيب عن وعيه ، وكانوا يتحرزون من انتقاضه عليهم وكفاحه للخلاص منهم وذلك برض [1] عظام أطرافه بعد شده الى الشجرة .

---

١ ـ رضه : دقه وجرشه فهو مرضوض .

٤ ـ ثم يقتلونه ويقتطعون بضعات (٢) من جسده يأكلونها فتكسبهم نفحة من الطبيعة الالهية ، ثم يوارون ما بقي من رفاته (٣) في بعض الحقول المهيأة لزرع القمح .

٥ ـ فاذا ما نجمت النباتات الجديدة بعد حين جرى في وهمهم ان الاله الدفين قد ثابت اليه الحياة .

٦ ـ وجعل هذا المنسك يتطور على الزمن فأصبح القوم يقترعون على المضحى به فيأخذونه من مولده ويرشحونه (٤) للتضحية به ، ثم غدوا يأتون بمجرم محكوم عليه بالقتل ، ثم أمسوا يقربون الحيوان بديلا عن الانسان ، ثم باتوا يكتفون بفطيرة في صورة انسان او حيوان (٥) ، ثم انتهوا الى ان استبدلوا بذلك كله عشاء ربانيا يؤكل فيه الخبز وتعاقر الخمر .

يؤخذ مما تقدم ان يسوع الذي صلب ان هو الا إله الإنبات عِلق على شجرة مقدسة . وبين هذين الالهين مشابه لا سبيل الى الفض من خطرها ، اظهرها :

أ ـ نعت يسوع بأنه «ابن الله» اي وكيل ابيه .
ب ـ انه جاب طرقات أورشليم في موكب نصر .
جـ ـ الرداء الملوكي وهزء الجنود الرومان به .

---

٢ ـ بضعه : قطعه ، يقال بضعت اللحم اي قطعته البضعة (بالفتح وقد تكسر) : القطعة من اللحم «من رضع معك رضعة فهو منك بضعة» أي كجزء منك.

٣ ـ رفت : انكسر وتحطم وصار رفاتا اي حطاما وفتاتا ومنه الآية «وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا» .

٤ ـ رشح الصبي : رباه ، ومنه قولهم «هو يرشح لولاية العهد» اي يربى ويؤهل لها .

٥ ـ ولا نزال نجد أثرا من ذلك في بعض البلدان الاوروبية حيث يبيعون في بعض أعيادهم الدينية خبز الزنجبيل على هيئة الحيوانات ، وقد اشار الى ذلك ول ديورنت في كتابه الضخم «قصة الحضارة» .

د ـ الصلب على الشجرة المقدسة .
هـ ـ سقيه خمرا او عفصا او مرا (٦) .
و ـ رض عظام الساقين ، وهو ما حدث للصين اللذين صلبا معه.
ز ـ دفن جثمانه في مغارة (وهو ما حدث لمثرا) .
ح ـ قيامته من الموت .
ط ـ اجراء التضحية به في الاعتدال الربيعي أو قريبا منه .
ي ـ انه ولد في ٢٥ ديسمبر (وهو عيد الشمس) .
ك ـ ان جميع حوادث الاناجيل قد استوعبتها سنة او اثنتان .



---

٦ ـ «اعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب» (متى ٣٧ : ٣٤) .
«فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمـــه» .
(يوحنا ١٩ : ٢٩) .

- ١٣ -

يشوع بن نون

فكيف تأتى ان يتحول إله من آلهة الطبيعة مما قبل التاريخ يقتل كل عام ليبعث الحياة في عشيرته الى رجل يهودي في القرن الاول الميلادي يقتل في أورشليم بتهمة سياسية ؟

لقد أجاب روبرتسن عن ذلك بأن كلمة يسوع (Jesous) هي الصيغة اليونانية للاسم العبري يشوع (Yehoshua) ومعناه «ياه مخلّص» أي «يهوه مخلص» وقد كان هذا الاسم إلهيا قبل ان يكون لاحد من الناس (١) .

---

١ ـ بين اليهود من يستدل من أسمائهم على ان لهم مشاركة في الطبيعة الالهية ، مثل ايليا فان اسمه مأخوذ من «إيل = الله» و«ياه = يهوه» .

«غنوا لله . رنموا لاسمه . أعدوا طريقا للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه» (مزامير ٦٨ : ٤) .

ومن ثم كان اسم «إيليا» يعني «الله يهوه» .

وقد أخذ اسم اليشع من «إيل = الله» و«شع = مخلّص» فمعناه اذن «الله مخلص» .

وموجز القول ان مؤسس العقيدة المسيحية يحمل اسم الشخص الاسطوري الذي خلف موسى على زعامة بني اسرائيل، ذلك الشخص الذي حشدوا في سيرته من الفزوات المظفرة والفتوحات الباهرة ما لا يتسنى لرجل فرد ان لم يستظهر بالمعجزات والخوارق ، ولهذا فقد ألزم الشمس والقمر مكانيهما في السماء لا يبرحانهما حتى ينجز بنو اسرائيل ما كانوا قد اخذوا فيه ذلك النهار من ابادة من صادفوا في طريقهم من اهل احدى القبائل في البلاد المغزوة .

«وقال امام عيون اسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر وادي أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم من أعدائه» (يشوع ١٠ : ١٢-١٣) .

ومن الواضح ان اصدار الاوامر الى الشمس والقمر مواجهة هو من قبيل أعمال الآلهة [٢] وما ينبغي لاحد من البشر .

ويرى بعضهم ان ثم من الاسباب المعقولة ما يطوع [٣] لنا القول فرضا بأن اسم يشوع هذا كان اسما لإله فلسطيني من طراز تموز ومن اليه [٤] ، ولعله كان إلها للانبات يُقتل كل عام ثم يبعث حيا ممثلا بذلك موت الحنطة وميلادها عودا على بدء . وقد كان ذلك الإله على هيئة السمكة او ـ بالتحديد ـ ثعبان السمك ، وهو ما يفسر لنا اسمه ، فهو يشوع بن نون و«نون» في لغتهم تعني سمكة . وقد لبث المسيحيون القدامى حينا من الدهر

---

٢ ـ ومن امثلة ذلك ما ورد في الياذة هوميروس من ان الالهة هير Here انقذت الاخائيين من الهزيمة بأن أمرت الشمس ان تعجل في الغروب .

٣ ـ طوعت له نفسه كذا : تابعته وطاوعته عليه وقيل شجعته وأعانته وأجابته اليه ورخصت له وسهلت ومنه «فطوعت له نفسه قتل اخيه» .

٤ ـ وهناك من يرى ان ترجمة كلمة يشوع هي «يهوه مخلّص» وأن يشوع، من ثم ، لا يعدو ان يكون هو يهوه نفسه .

يرمزون الى يسوع فيما يرسمون في الكاتاكمب (٥) بالسمكة . وقد ذكرت الاناجيل معجزته السمكية مرتين (٦) . وكان القوم يحتفلون في عيد الإله يشوع هذا ربيع كل عام فيأتون بامرىء في زي الملوك فيقتلونه ويأكلونه متخذين من جسده ودمه سبيلا الى خلاص المجتمع .

وهذا اليشوع الاسطوري هو مخلص نموذجي ، واجمع الظن انه إله للشمس سامي قديم ، وفي اقاصيص الفرس والعرب انه ابن لمريم ، واهم مراسم عبادته اقامة حفل له في ربيع كل عام يجاء فيه برجل مرتد رداء ملوكيا ، ممثلا بذلك الملك الإله ، ثم يقتل تكفيرا عن مآثم قومه ويعلق جثمانه الى الغروب (٧) ثم ينزل ويوارى في التراب . وهذا يشبه ــ بوجه عام ــ الصورة التي رسمها اشعيا في قوله :

«لكن أحزاننا وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه
مصابا مضروبا من الله ومذلولا . وهو مجروح لاجل
معاصينا مسحوق لاجل آلامنا . . . انه ضرب من اجل

---

٥ ــ هي الكهوف والسراديب التي كان المسيحيون الاوائل يلتقون فيها خفية ليمارسوا عبادة يسوع .

٦ ــ في متى ١٤ : ١٩ ــ ٢١ ومتى ١٥ : ٣٦ ــ ٣٨ .

٧ ــ وهذا يذكرنا بما كان يفعله يشوع بالملوك الذين يقعون في أسره اذ يعلقهم على الاشجار مدى النهار .

«وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء» (يشوع ٨:٢٩).

«وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب
وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء» (يشوع ١٠ : ٢٦) .

ولسنا نجد في تضاعيف الكتاب المقدس شخصا آخر سلك هذا المسلك الفريد في بابه الا داود .

ذنب شعبي وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته .. أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . ان جعل نفسه ذبيحة إثم» (اشعيا ٥٣ : ٤ - ١٠) .

فاذا واراه القوم قضوا غدهم في حزن ونواح ثم أقبلوا يأكلوا طعاما يتألف تبعا للاحوال والملابسات المحلية من خبز ولحم ضأن وسمك ومعنى ذلك عند اهل الباطن أن الإله يأكله عابدوه. وليست المعجزة السمكية الآنفة الذكر الا تصويرا أسطوريا للأكلة المنسكية . وقد كان هذا المنسك يقام في احدى الجلجالات (الدوائر) التي كانت منتشرة في فلسطين والتي اقام يشوع واحدا منها عن كثب من أريحا .

«فحل بنو اسرائيل في الجلجال وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عربات (٨) اريحا» (يشوع ٥ : ١٠) .

وقد أبطل اليهود هذه العبادة ، بداهة ، عندما دانوا بالوحدانية ، وكان مما توسلوا به الى محاربتها ان ادرجوا ثعبان السمك في عداد الحيوانات غير الطاهرة .

«ولكن كل ما ليس له زعانف وحرشف في البحار وفي الانهار ... من لحمه لا تأكلوا وجثته تكرهون » (لاويون ١١ : ١٠ - ١١) .

بيد ان القوم ما لبثوا أن انكفأوا يمارسون تلك العبادة خفية في المزارع ومصايد السمك في السامرة والجليل وما اليهما من الاصقاع المتاخمة للبلاد وهي التي لا تبلغها أوامر اورشليم . ودامت الحال على هذا المنوال الى ان فتح المكابيون تلك الاصقاع

---

٨ - أي في بطحاء أريحا او السهل الذي هي فيه .

في القرن الثاني ق.م ، وقد استبدل أولئك العابدون بالأضحية البشرية عشاء ربانيا يعقبه تمثيل يحاكي فيه الصلب والقيامة من الموت .

وهذا المنسك الذي كان يقام فيما غبر من الزمان هو منشأ اسطورة آلام المسيح وقيامته من الموت .

فهل ثم دليل ، وان كان ضعيفا ، على ان تلك العبادة قد وجدت حقا ؟

أجل ، فها هوذا يوحنا الرسول يخاطب يسوع قائلا :

«يا معلم رأينا واحدا يخرج شياطين باسمك ،
وهو ليس يتبعنا (٩) فمنعناه لانه ليس يتبعنا» .
(مرقس ٩ : ٣٨) .

ويؤخذ من ذلك ان السحرة في فلسطين كانوا يستخدمون اسم يشوع او يسوع في الاتيان بالعجائب .

واقوى دليل على قيام عبادة يشوع او يسوع قبل نشوء الدين المسيحي هو ما يستنبط من قصة برباس :

ذكرت الاناجيل في معرض محاكمة يسوع انه كان من عادة الوالي الروماني ان يطلق في عيد الفصح مسجونا يختاره الشعب وان بيلاطس رغب الى اليهود في أن يكون السجين الذي يخلي سبيله طوعا لهذا التقليد هو يسوع فأبت الجماهير عليه ذلك وطلبت اليه ان يطلق القاتل المشاكس برباس .

«وكان الوالي معتادا في العيد أن يطلق للجمع

---

٩ ـ كما انا نجد انه كان ثم «تلاميذ» في دمشق في زمن لم يكن قد وعظ فيه بالاناجيل هناك .

«وكان في دمشق تلميذا اسمه حنانيا ، فقال له الرب في الرؤيا : يا حنانيا . فقال هانذا يا رب» (اعمال ، ٩ : ١٠) .

أسيرا واحدا من ارادوه . وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن اطلق لكم . باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح ... فقالوا باراباس» (متى ٢٧ : ١٥ ــ ٢١) .

ولم يقم دليل ما على انه كان ثمة عادة من هذا القبيل وليس في تاريخ الرومان كله اشارة الى شيء كهذا ، وليس من المعقول ان يحبو الرومان اليهود منحة كهذه في تلك الاوقات الجياشة بالاضطرابات والفتن ، وليس من طبائع الامور ان يتخبل ضابط معروف بالحزم والصرامة مثل بيلاطس فيأمر بتخلية قاتل اثيم .

على ان الصيغة التي رويت بها هذه القصة ليست هي الصيغة الاصلية بل هي محرفة عنها ، وقد اطلع اوريجن (١٠) على الصيغة الاصلية في احدى المخطوطات فوجد فيها ان برباس يدعى يسوع برباس ، ومن ثم يكون بيلاطس قد سأل جمهور اليهود :

من عسى أن يكون ذلك الذي ترغبون في ان اخلي لكم عنه ، يسوع برباس ام يسوع الذي يدعى المسيح وقد كره قساوسة المسيحية ــ على ما يظهر ــ ان يكون قاطع الطريق سميا للمخلص فطمسوا كلمة يسوع فأصبح الاسم برباس وحسب . وكلمة برباس Barabbas في اللغة الآرامية تعني «ابن الاب» ومن ثم كان اسم يسوع برباس يعني يسوع ابن الاب ، فاذا علمنا ان اولئك البدائيين كانوا كثيرا ما يضحون في شعائرهم بابن الرئيس او الملك وضح لنا ان «يشوع بن نون» هو لقب الإله نفسه . وعندما اخذت قصة صلب يسوع تصك آذان الجماهير زرى

---

١٠ ــ من آباء المسيحية في القرن الثالث ، مات سنة ٢٥٣ م .

اليهود على المسيحيين إحياءهم تلك الاسطورة الشائنة التي هي عندهم ليست شيئا آخر غير قصة يشوع بن الاب (١١) ، فلم يجد المسيحيون ازاء ذلك بدا من اختلاق تلك القصة التي توحي بأن يسوع برباس هو شخص آخر غير يسوعهم المسيح ، وانكفأوا طوعا لذلك ينحون باللائمة على اليهود ويقرفونهم بأنهم هم الذين انقذوا يسوع برباس وارسلوا بيسوع الآخر الى الموت .

ولما سقطت اورشليم وهدم الهيكل سنة ٧٠ م طويت اسطورة يشوع ابن الاب وذابت في ذلك الحلم الازلي الذي لم يكن يفيق منه اليهود ويرون فيه مقدم «مخلّص» يعصف بالنظام البغيض الجائم على الارض ويقيم على أنقاضه ملكوت (١٢) الله .

وقد ادخل منسك التعميد على الديانة الجديدة واصبح الإله المخلص يعرف باسم يشوع المسيح Joshia the Messiah وترجم هذا الاسم الى اليونانية فأصبح يسوع المسيح Jesous Christos

وفي تلك المرحلة من مراحل تطور تلك العبادة اقحم القوم في المأساة شخصية بيلاطس ممثلة للرومان المقوتين كي تكتسب المأساة بذلك تكأة تاريخية ثم زادوا في قيمتها الادبية بأن اضافوا

---

١١ ـ وقد استشهد روبرتسن بحادثة رواها الفيلسوف اليهودي فيلون (٢٠ ق.م ـ ٥٤ م) فحواها انه بدا لرعاع اليونانيين في الاسكندرية ان يعربوا في احدى المناسبات عن مقتهم لليهود فأتوا برجل مخبول يدعى كرباس Karabas والبسوه مطرفا ملوكيا وتوجوا هامته بتاج ووضعوا في قبضته صولجانا وأسموه الرب وركبوه بالسخرية على النحو الذي قيل انه حدث ليسوع قبيل صلبه .

١٢ الملكوت : العز والسلطان والملك العظيم ، يقال «له ملكوت العراق» اي عزه وسلطانه وملكه .

اليها اجزاء اقتبسوها بتصرف من أسفار اليهود الدينية (كالجزء الخاص بتعاليم الرسل الاثني عشر) ونشروا كراسات دينية (كمثل الرسائل المعزوة الى بولس) وصاغوا المسرحية المنسكية التي تحكي الصلب والقيامة من الموت في القالب القصصي الذي تطالعنا به الاناجيل .



- ١٤ -

مسرحية لا قصة

وقد أبدى روبرتسن انالناس عرفوا المسرحياتالمنسكية قبلان يعرفوا القصص المروية ، واوضح انه كان للمسرحيات الغوامض منزلة جليلة في الاديان القديمة (١) فكان أهـــل مصر يشهدون مسرحية ديونيسس (٢) كما أن التمثيل كان شطرا هاما من عبادة مثرا . وقال ان تلك المسرحيات قد عنيت عناية بالغة بإلهـــي

---

١ ـ وكذلك كان للكنيسة في القرون الوسطى مسرحياتها ومنها مسرحية Passion التي لا يزال يقام لها موسم تمثيلي كل عشر سنين في قرية Oberammergaw في بافاريا وهي قرية ذات مناظر طبيعية خلابة تحيط بها الجبال الشوامخ من كل جانب ، وقد حمتها عزلتها هذه سالمة من شر طاعون وبيل اجتاح المنطقة وفتك بما حواليها من قرى ، فشيدت القرية في رباعهـــا مسرحا واستنت سنة قيام ابنائها بأنفسهم بتمثيل تلك المسرحية شكرا للرب على عنايته الصمدانية التي شمل بها القرية ويعد كل منهم نفسه للدور الذي سيمثله طوال السنوات العشر السابقة للتمثيل .

٢ ـ وهي تتضمن معجزة احالة الماء خمرا .

الشمس والإنبات .

وقد لفت روبرتسن الانظار الى ان قصة تجلّي المسيح ان هي الا تمثيل لإله الشمس الساطع ، والى ان موسى وإيليا اللذين يتحدثان الى يسوع عندما تجلى بمشهد من تلاميذه .

«وتغيرت هيئته قدامهم واضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور . واذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه» (متى ١٧ : ٢ ـ ٣) .

هما كذلك من الشخصيات الشمسية المعروفة لرجال الدين اليهودي .

واسترعى روبرتسن الانظار الى ان قصة الآلام التي تبدأ بدخول يسوع أورشليم وتنتهي بقيامته من الموت (متضمنة العشاء الاخير والخيانة والصلب) تحوي أهم خصائص المسرحيات الغامضة الخاصة بإله الشمس وإله الإنبات ، ونادى بنظرية مبتكرة تقول بأن قصة الآلام هذه ان هي الا مسرحية من تلك المسرحيات التي تعرض لحياة إله الإنبات اعتادت بعض الجماعات الدينية ان تمثلها عاما إثر عام (٣) .

---

٣ ـ وقد استبان للكثير من الباحثين ان هذه النظرية وطيدة الدعام متينة البنيان فتنكبوا عن المجادلة فيها وكان قصارى ما تفتقت عنه أذهان المعترضين انه لو كان يسوع المسيح بطلا من أبطال الاساطير لاتخذ احبار اليهود من ذلك سلاحا عضبا (اي قاطعا) يناجزون به المسيحية ، وهو اعتراض واه هين دحضه، فمن المعروف ان عبادة يسوع نشأت اول ما نشأت بين اليهود وأن اليسوعيين كانوا فريقين : فريقا يميل الى القومية وفريقا ينزع الى الامية ، فلم يكن لدى رجال الكهنوت اليهودي ما يحفزهم الى انكار تاريخية يسوع .

يضاف الى ذلك ان يسوع هذا قد يكون وليد اصل اسطوري مثل يسوع بن نون او يسوع الغامض الذي قيل فيه : =

ولئن كان الشطر الاخير من سيرة يسوع يشبه ان يكون قصة من خمسة فصول :

١ ــ العشاء .
٢ ــ مجاهدة النفس ومعاناة الالم (٤) الممض .
٣ ــ الاعتقال .
٤ ــ الصلب .
٥ ــ القيامة من الموت .

ان نظرة فاحصة الى الانجيليين الاولين لتكشف عن أخطاء في الفن القصصي مرجعها الى ان تلك القصة التي يحكيانها منقولة عن مسرحية (٥) وأنها بقيت بعد انصبابها في القالب القصصي محتفظة بالكثير من خصائص المسرحيات .

١ ــ وهذا الاصل المسرحي لقصة يسوع هو الذي جر الى اختلاق شخصية يهوذا الاسخريوطي او بالاحرى الى اقتباسها من المسرحية المنسكية القديمة دون ان تكون قصة يسوع المسيح بحاجة الى تلك الشخصية ، فقد اصبح يسوع معروفا معرفة شاملة في أورشليم بعد ان دخلها دخول الفاتحين في موكب ملكي

= «لم خذ فضة وذهبا واعمل تيجانا وضعها على راس يهوشع بن يهويا صادق الكاهن العظيم وكلمه قائلا . هكذا قال رب الجنود قائلا . هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب» (زكريا ٦ : ١١ ــ ١٢) .

٤ ــ «وقال لهم شهوة اشتهيت ان آكل هذا الفصح معكم قبل ان أتألم» . (لوقا ٢٢ : ١٥) .

٥ ــ واغلب الظن ان تلك المسرحية لم تكن اسرائيلية المنبت فالمعروف عن الاسرائيليين القدامى انهم ينفرون من التمثيل . والارجح انها من اصل اغريقي، ولا غرو في ذلك فقد كان للاغريق في أورشليم في ذلك العهد الغابر اثر ملحوظ .

ممتطيا حمارين يتبهنسان (٦) من تحته في طريق مفروشة بالثياب واغصان الشجر .

«واتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما . والجمع الاكثر فرشوا ثيابهم في الطريق . وآخرون قطعوا اغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق . والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود . مبارك الآتي باسم الرب أوصنا في الاعالي . ولما دخل اورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع الذي من ناصرة الجليل» (متى ٢١:٧ـ١١).

وقد ازدادت معرفة اهل اورشليم به حين يمم صوب الهيكل واقتحمه بمثل جبروت شمشون .

«وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام» . (متى ٢١ : ١٢) .

كما انه استرعى اليه الانظار حين القى مواعظه في اشد المواطن ازدحاما بالسكان حاملا فيها حملات منكرة على الكتبة والفريسيين .

«وقال لهم في تعليمه تحرزوا من الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالسة والتحيات في الاسواق» . (مرقس ١٢ : ٣٨) .

«ولكن ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون والمراؤون لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (متى ٢٣ : ١٣) .

فلم يكن ثم ما يحوج ذوي السلطان من رجال الكهنوت الى

---

٦ ـ تبهنس : تبختر .

اخراج الرشي لمن يصبعهم عليه ، ولكنها حاجة المسرحية الى من يقف فيها موقف النذل .

«حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال مـــاذا تريدون ان تعطوني وانا اسلمه اليكم . فجعلوا لـــه ثلاثين من الفضة» (٧) (متى ٢٦ : ١٤ ــ ١٥) .

لقد طابت نفس يسوع بأن يزهق حياته ليهدىء من حنق يهوه أي من حنق نفسه ، فلماذا كان من الضروري ان تكون الخيانة هي السبيل الى انفاذ ذلك ؟ تفسير هذا ان واضعي المآسي المسرحية جروا على الا يهرق دم الشهيد في المأساة بلا ثمن بل يجعل له ثمن يقبضه الخائن لقاء خيانته .

يرى روبرتسن (٨) ان اسم يهوذا الاسخريوطي كاف وحده للدلالة على انه ليس شخصا تاريخيا وانما هو موقف في مسرحية او قصة . لقد كان بعضهم يتوهم ان اسمه في اللغة الآرامية هو Judas Ish Kerioth نسبة الى بلدة صغيرة في مملكة يهـــوذا تدعى كريوث (٩) . وقد اشتملت الترجمة السورية على كلمـــة سيكاريوس Sicarius ومعناها قاطع طريق ، ثم انتهـــى الباحثون في مقارنة اللغات آخر الامر الى ان اسم الاسخريوطي مشتق من الفعل سكارتي Sikkarti ومعناه «اني أسلـــم»

---

٧ ــ الثلاثون من الفضة هي ثمن العبد في اسرائيل .

٨ ــ J. M. Robertson في كتابه يسوع ويهوذا Jesus and Judas المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧ .

٩ ــ وممن وقعوا في هذا الخطأ الشائع السيد رشيد رضا صاحب المنار اذ قال في كتابه «عقيدة الصلب والفداء» : «وكان يهوذا هذا رجلا عاميا من بلدة تسمى خريوت في ارض يهوذا» . ا هـ

وبذلك يكون اسم «يهوذا الاسخريوطي» معناه اليهودي الذي سلم أو بالاحرى «اليهودي الخائن» (١٠) .

٢ ـ وقد قعد يسوع الى مائدة العشاء الاخير وانشأ يتحدث الى تلاميذه .

«وفيما هم يأكلون قال : الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني . فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل انا هو يا رب . فأجاب وقال : الذي يغمس يده في الصحفة هو يسلمني . ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل انا هو يا سيدي . قال انت قلت.
وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي . واخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم . لان هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا»

---

١٠ ـ يلاحظ مثل ذلك في اسماء آخرين من اشخاص القصص التي يسردها الكتاب المقدس كاسم حواء ومعناه ام كل حي واسم آبل (ومعربه هابيل وهو الذي قتله اخوه قايين ومعربه قابيل) ومعناه حزن وحسرة ، واسم ابرام ومعناه الاب الاعلى اي ابو الانبياء لتسلسل كثير من الانبياء البارزين من نسله مثل اسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى كذلك محمد ان صح ما يزعمه بعض النسابين العرب من انه انحدر من أرومة اسماعيل بن ابراهيم .

ونذكر كذلك ان يوسف بن يعقوب تزوج في مصر بابنة كاهن اون ورزق منها ولدين .

«ودعا يوسف اسم البكر منسي قائلا لان الله انساني كل تعبي وكل بيت ابي» (تكوين ٤١ : ٥١) .

(متى ٢٦ : ٢١ ــ ٢٨) .

اليس هذا وثيق الشبه بما يحدث في المسرحيات؟ أولا يوحي هذا اليك ان بين يديك عملا مسرحيا ؟ ان الفن المسرحي هو وحده الذي يقتضي ان يقف النذل مخرسا حين يجبه بالخيانة وان يظل سائر التلاميذ قاعدين لا ينبسون ببنت شفة حتى تتاح للمسيح فسحة من الوقت يبارك فيه الخبز ويكسره ويحدث تلاميذه عن اكلهم جسده وشربهم دمه وهم ساكتون لا يفعلون خلال ذلك اكثر من التعبير عن انزعاجهم واشمئزازهم باختلاجات صامتة وانطباعات واضحة ترتسم على قسمات وجوههم .

٣ ــ وقد يمم مع تلاميذه بعد ذلك شطر ضيعة يقال لها جثيماني حيث استمهلهم حتى صلى ثم انفرد ببطرس وابني زبدى .

«فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد انا بل كما تريد انت . ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما» (متى ٢٦ : ٣٨ــ٤٠).

ونلاحظ هنا :

أ ــ ان التلاميذ ما لبثوا ان غشيهم النعاس جميعا عقب استمهال المسيح اياهم لحظة يؤدي فيها صلاته الأخيرة .

ب ــ ان القصة نقلت الينا الكلمات التي كان يتلوها يسوع في صلاته مع ان جميع شهود هذا الحادث وهم تلاميذه كانوا قد ران (١١) عليهم النوم فلم يتناه اليهم ما كان يتلوه في

---

١١ ــ ران عليه الشيء : غلبه وغطاه ، يقال رانت عليه الخمر وران عليه النعاس . وفي التنزيل «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» اي غلب عليها فغشيها .

صلاته من دعاء .

ذلك ان النظارة يبهجهم ان يروا المخلّص جاثيا على الثرى معفر الوجه وليس يعنيهم ان يسمع التلاميذ الصلاة او لا يسمعوها .

ج ـ انه اقام الصلاة ثلاث مرات ، وكان في كل مرة يجدهم نياما.

«فمضى ايضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه ان لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم ايضا نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى ايضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الان واستريحوا» (متى ٢٦ : ٤٢ ـ ٤٥) .

٤ ـ ويتلو ذلك إعداد النظارة للمشهد التالي ، وفيه يمزج يسوع بين حديثين (١٢) متباينين كما يقتضي الاسلوب المسرحي.

«ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الان واستريحوا. هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة . قوموا ننطلق . هوذا الذي يسلمني قد اقترب» (متى ٢٦ : ٤٥ ـ ٤٦) .

يا له مشهدا فوق منصة المسرح يثير الناظرين : الجنود

---

١٢ ـ شبه بعضهم هذا الحديث بما زعمه زاعم من ان الهنود الحمر في امريكا عندما أبصروا حملة خرستوف كولمبس صاحوا : يا للسماء . لقد اكتشفنا .

ويلاحظ ان الانجيل الثالث قد تحامى هذا المزج بين الحديثين المتنافرين الموجهين الى النائمين واستبدل بهما جميعا كلمة مهذبة يصف بها حالهم ، فقال:

«ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن. فقال لهم لماذا انتم نيام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» . (لوقا ٢٢ : ٤٥) .

الرومان يتلوهم رؤساء الكهنة وشيوخ اسرائيل ومن خلفهم الرعاع والغوغاء يضجون ويصخبون وشخص المسيح واضح جلي في وسط المسرح وقد سلطت عليه الاضواء وشخصت اليه الابصار ، ورؤساء الكهنة والشيوخ على بصر بالمظهر الخارجي لابن الانسان وفي استطاعة كل منهم ان يرشد الشرطة اليه ، بيد ان واضع المسرحية كان حريصا على ان يجعلها لا تفتقر الى شيء ذي صلاحية مسرحية ولذا نرى يهوذا ، مع يقينه من افتضاح خيانته، يقر (١٣) في آذان مستأجريه ان من أقبله فهو يسوع فدونكم اياه ، ثم يمضي قدما الى يسوع ويحييه التحية المتفق عليها .

«فللوقت تقدم الى يسوع وقال السلام يا سيدي وقبّله» (متى ٢٦ : ٤٩) .

فاذا الشرطة قد وثبوا عليه وأخذوا بتلابيبه واذا بطرس يقاوم منتضيا سيفا يصلم (١٤) به أذن رجل ممن قدموا في صحبة الشرطة .

«واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه» (متى ٢٦ : ٥١) .

ولقد صحبنا التلاميذ طويلا ولم نجد بينهم من يتقلد السيف، ولكن ما العمل والمسرحية أقدم عهدا من الاناجيل .

وفي الحق انه ليس في شتى التفصيلات التي تضمنتها الاناجيل ما هو أوغل في الاسطورية من يهوذا هذا ، فليس لاية قصة تتصل به اساس تاريخي ، وانما هي أحدوثة (١٥) جعلوا منها

---

١٣ ـ قر الكلام في اذنه : وضع فاه في اذنه فاسمعه .

١٤ ـ صلمه : استأصله وغلب استعماله في الاذن والانف .

١٥ ـ الاحدوثة : ما يتحدث به مما يشبه القصة ، والعامة في مصر تقول «حدوته» .

أمثولة (١٦) فحواها ان العمل السيء لا يفلت من الجزاء السيء . وأكبر الظن ان بولس لم ينم اليه شيء من أنباء يهوذا وخيانته للمسيح وانتهاء امره الى انتحاره ، ولهذا ظلت عدة التلاميذ عنده اثني عشر الى ما بعد الصلب والقيامة من الموت .

«وانه دفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب
وانه ظهر لصفا ثم للاثني عشر» (كورنتوس ١٥ : ٥) .

٦ ـ ثم ينتقل بطل المسرحية من الحديقة المتخيلة في جثيماني الى مشهد جديد في قصر قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع السنهدريم لمحاكمته ، وقد ادلى رجلان بشهادتيهما عليه فلم يدحض شهادتيهما ولم يدفع عن نفسه .

«وأما يسوع فكان ساكنا» (متى ٢٦ : ٦٣) .

مما يسّر مهمة شانئيه .

٧ ـ وقد سخروا أكارا (١٧) يدعى سمعان ليحمل عن يسوع صليبه الى ساحة التنفيذ .

«وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا (١٨)
اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه» (متى ٢٧:٣٢).

ولسنا نعلم من أمر سمعان هذا شيئا ، الا انه شخص برز فجأة ليحدث تغييرا في المشهد كما هو المألوف في صنعة المسرح .

وغاية القول انه كان في القرن الاول الميلادي الفاف من اليهود

---

١٦ ـ الامثولة : ما يتمثل به من الابيات وغيرها .

١٧ ـ اكر الارض : حفرها . الاكار : الحراث والمقصود بها هنا الفلاح عامة .

١٨ ـ الصواب قورينيا نسبة الى قورينا Cyrene عاصمة برقة وتعرف الان باسم عين شباط ، وليس نسبة الى القيروان وهي مدينة في المغرب اسسها عقبة بن نافع في عهد معاوية ولا شأن لها بهذه الحكاية .

الموطنين بفلسطين واليهود المشتتين في الامصار المجاورة يقيمون عبادة سرية عتيقة من شعائرها اقامة عشاء رباني يرمز به الى موت الاله المخلص يشوع ابن الاب وتمثيل مسرحية في كل عام تشخص آلام يشوع هذا وقيامته من الموت .

لقد عرف اليهود هذه التمثيليات الرمزية ، وكانت الغوامض الاغريقية تمثل في دمشق واريحا وغيرهما ، وهم لا ريب شهدوا جنود الرومان يحتفلون لعيد زحل Saturnalia وكانوا يحتفلون له حيثما حلوا ، ومن المحتمل ان يكون بعض اليهود المستمسكين بعرى ديانتهم قد شهدوا ، في زمن الكارثة التي حلت بقومهم ، شعيرة من شعائر عبادة يشوع .

- ١٥ -

حواشي الاسطورة

هذا ، وقد نقب الباحثون عن أهم الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في الاناجيل فلم يعثروا بينهم على شخص حقيقي ، ولم يجدوا بين من كانوا يدعون في تلك الازمنة والامكنة باسم يسوع الا رجلا واحدا يصلح ان يكون هو(المانكان) الذي البسه المسيحيون ثوب المسيح ، ذلك هو يسوع بن بندرا Ben Pandira الذي تحدث عنه التلمود وبيّن كيف لقي مصرعه قبل الميلاد بقرن من الزمان .

وموجز سيرته ، فيما يقول التلمود ، انه شخص الى مصر في عهد الكسندرينس Jannaeus (١٠٣ ـ ٧٨ ق.م) وتعلم فيها السحر ثم اتخذ له خمسة تلاميذ وجعل يضلل ابناء جلدته ويبث فيهم نوازع التفرقة فحكم عليه بالقتل وانفذ فيه الحكم رجما بالحجارة ثم علق جثمانه ليلة عيد الفصح على شجرة ، فانتهت حياته وهو في العقد السادس من العمر (١) .

---

١ ـ وهذا يذكرنا بما ادلى به أرينيوس (وقد ولد فيما بين سنتي ١٢٠ م =

لو ان هذه السيرة لم ترد في غير الجمرا (٢) لعدها الدارسون محاولة يهودية للغض من شأن يسوع والحط من قدره بتفسير معجزاته على انها من عمل السحر ، وبادعاء ان محاكمته قد روعيت فيها أصول العدالة ، على ان اسم بندرا (اوبنثرا) معهود لنا من القرن الثاني فقد نشر الفيلسوف الافلاطوني سلزس قريبا من سنة ١٧٨ م كتابا عنوانه «كلمة حق» تحدث فيه الى المسيحيين في صراحة تامة . وقد أبيد هذا الكتاب في غمار الكتب التي أبادها المسيحيون بعدما اصبحت عقيدتهم في القرن الرابع دينا رسميا للامبراطورية الرومانية ، وبقيت نبذة كان قد كتبها أوريجن ردا عليه ، ومنها يؤخذ ان سلزس تخيل يهوديا يشنع بيسوع ويصفه بأنه نغل (٣) مغامر منحدر من صلب جندي يدعى بنثرا ، وان المؤلف أورد على لسان هذا اليهودي ان يسوع ادعى انه ولد من أم عذراء وانها هي ومن يلوذ بها انقذوا حياة يسوع في طفولته بأن هربوا به الى مصر وانه استعان بما قبسه في مصر من فنون السحر فادعى الألوهية وانه زعم ان صوتا انطلق من السماء مناديا به ابنا لله وانه استغل بعض تكهنات الانبياء السابقين بحوادث واشخاص شتى فادعى انها انما تشير اليه وتتحدث في أمره وانه استجاش حوله الفا من الغوغاء والملاحين

= و١٤٠ م وعين أسقفا لمدينة ليون بفرنسا وكان من معارف بولكرب) فقد روى حديثا عن ... عن يوحنا الرسول «تلميذ الرب» فحواه ان يسوع لم يصلب وهو في الثالثة والثلاثين من عمره بل عمر وبلغ اقصى العمر .

٢ ـ الجمرا (بكسر ففتح) أي التكملة او التتمة هي الجزء الاخير من التلمود .

٣ ـ نغل الجرح : فسد . نغل المولود : فسد نسبه . النغل والنغل : ولد الزنية لفساد نسبه .

وجباة الضرائب ومضى يجول بهم من مكان الى مكان . وقد انكر اليهودي المتخيل هذا الوهية يسوع كما أنكر الوهية أبطال الاغريق من أمثال برزيوس مع انهم ارفع شأنا واجل أعمالا ، ثم قال يسائل القوم مستنكرا ان معجزات يسوع هي من فعل السحر فهل يحق لنا ان نؤمن بألوهية السحرة جميعا ؟

وما بالكم وقد تحدثت الاناجيل نفسها عن المسحاء الزائفين والانبياء الكذبة .

يتضح من ذلك ان اليهود لا يعرفون يسوع الاناجيل ، وعندهم ان يسوع اذا لم يكن هو يشوع التلمود فنه لا يكون احدا البتة .

هذا ويقول اصحاب المذهب الاسطوري ان بعض الاعلام الواردة في القصة هي ايضا محض اختلاق ، ويشهد بذلك عندهم :

١ ـ ان اسم ماري Mary او ماريا أم يسوع وثيق الشبه بأسماء امهات الآلهة الأخريات .

مرها Myrrha في سوريا .

مايا Maia في اليونان .

مايا Maya في الهند .

وكانت اخت هرون وموسى ابني عمرام (عمران) تدعى مريم (Miriam)

وهذه الاسماء جميعا تبدأ بميم الأمومة ، تلك التي تنادى بها الأم في مختلف اللغات (٤) .

---

٤ ـ كلمة أم يقابلها في الانجليزية Mother وفي الفرنسية Mère وفي الالمانية Mutter . وينادي الطفل أمه في العربية الدارجة بكلمة ماما وهي في الالمانية Mama وفي الانجليزية Mamma وفي الفرنسية Maman . ويطلق على ذوي الارحام اي الاقرباء من جهة الام في الانجليزية وغيرها كلمة Matriarchal ، وهذه الكلمات كلها تبدأ بحرف الميم .

٢ ـ وزوج ام يسوع الذي تعهده بالتربيب اسمه يوسف بن يعقوب .

«يعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح» (متى ١ : ١٦) .

ولئن كانت جمهرة بني اسرائيل على ان المسيح المنتظر سيجيء من نسل داود (٥) ان السامريين كانوا ، كما ذكرنا قبل ، يتوقعون ان يكون من سلالة يوسف بن يعقوب (اي ابن اسرائيل) ولهذا جعل يوسف حفيدا لداود من امرأته بتشبع وابنا لمن يدعى يوسف بن يعقوب .

٣ ـ وقد اختيرت بلدة بيت لحم مسقطا لراس يسوع .

«ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية ...» (متى ٢ : ١) .

لانها كانت قبل موئلا لعبادة الاله تموز . اما بلدة الناصرة التي تجعل منها الاناجيل اول موطن للمسيح وهي التي وصفها كل من متى ولوقا بكلمة «مدينة» :

«ولما اكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة» (لوقا ٢ : ٣٩) .

فليس من شيء يدل على انه كان في عصر المسيح بلدة بهذا الاسم ، فلا هي ذكرت في العهد القديم ولا هي ذكرت في آثار يوسفس ولا في التلمود وما اليه من الآثار في الازمنة الخوالي .

---

٥ ـ تلك التي اغتصبها الملك داود بن يسي حين كان زوجها أوريا الحثي يذود عن اليهودية في حومة الوغى ، ولما علم داود انها حملت منه في غيبة زوجها أوعز الى القائد الذي حارب أوريا تحت امرته باغتياله درءا للفضيحة ، وما لبث ان ضمها الى حريمه فولدت له سليمان ، وما زالت بزوجها الشيخ حتى خص ابنها سليمان دون اخيه الاكبر ادونيا بولاية العهد ، وما كاد سليمان يتربع على العرش حتى امر بأخيه فقتل شر قتلة .

وقد أعيا على الباحثين أن يتتبعوا هذا الاسم الى أبعد من القرن الرابع اذ كانت هناك بلدة معروفة بهذا الاسم تقصدها أفواج الحجاج . ثم انه ليس من المألوف ان تنسب الشيع الدينية الى مواطن مؤسسي عقيدتهم فيسمي المسلمون ـ مثلا ـ بالمكيين ويدعى البروتستنت ايسليبنريين نسبة الى ايسليبنر بلدة المصلح الديني مارتن لوثر .

وقد استعمل التلمود كلمة الناصريين لشيعة كانت تقسر بالمسيح مع استمساكها بشريعة اليهود . وكانت في العراق فرقة دينية تدعى Nazsraens توقر يوحنا المعمدان على حين انها كانت تعد يسوع كاذبا في تنبئه .

والارجح ان اسم هذه الفرقة مشتق من كلمة Nozar ومعناها «يحافظ على» او «يستمسك بـ» فقد نما جنين المسيحية بين ظهراني «الإبيونيين» (٦) المعروفين باستمساكهم بالشريعة اليهودية (٧) . وبذلك فكلمة «الناصريين» اسم لشيعة

---

٦ ـ Ebionim : الفقراء .

٧ ـ ويقال ان يسوع نفسه نشأ في شيعة الناصريين او الابيونيين وان الحركة التي أثارها كانت في مبدأ امرها ذات طابع ثوري ، فقد اعلن انه لم يأت لاحلال السلام في الارض بل لاعمال السيف في الرقاب .

«لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض . ما جئت لالقي سلاما بل سيفا» (متى ١٠ : ٣٤) .

وقد وعد تلاميذه الاثني عشر بأن يتربعوا فوق العروش ليحكموا اسباط اسرائيل الاثني عشر ، ثم دخل اورشليم في موكب يكتنفه الدهماء وهم ينادون به ملكا ومخلّصا ويهتفون له بالارامية «اوصنا» اي خلصنا (يوحنا ١٢ : ١٣) ، ثم انخرط في الهيكل وطرد منه الباعة والصيارفة ، وصلب بوصفه مدعيا انه ملك اليهود .
=

من شيع اليهود انشقت على الفريسيين لانها اكثر منهم استمساكا بالشريعة ، ثم شاع الاسم واصبح علما على المسيحيين كافة (٨) فالتبس الامر على المسيحيين الناطقين باليونانية ، وهم جهــلاء بالعبرية وبطبوغرافية فلسطين ، وتوهموا ان ذلك اللفظ منسوب الى موطن المسيح ، وهكذا تطرق اسم الناصرة الى الاناجيل حينا باللبس وحينا بالتلبيس اي بالغش والتدليس .

ومن علماء اللسان العبري من يرون ان كلمة «الناصريين» هذه اقرب الى ان تكون مشتقة من كلمة Netzer ومعناها «الغصن» وقد وصف بها المسيح المنتظر .

«ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من

= هذه التفصيلات تماشي الوصف الذي اسبغه سلزس (سنة ١٨٠ م) علــى يسوع من انه مجرم ، كما تتمشى هي وما كتبه هيروكلس (نحو سنة ٣٠٠ م) من ان يسوع كان زعيما على تسعمائة من قطاع الطرق ، وكانت تلك هي نظرة موظفي الرومان الى ثوار اليهود .

لقد بارك يسوع الفقراء وانذر الاغنياء واعلن اقتراب مملكة الله وهو مــا نادى به قبله يوحنا المعمدان .

«قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣ : ٢) .

وقد كان «ملكوت السموات» هذا شعارا ثوريا ، وقدومه المبكر يعني سقوط النظام القائم ولهذا كانت الحكومة الرومانية تعد هذه الدعاوة ائتمارا بها وخيانة لها وتحريضا على قلب نظام الحكم فيها . هذا وقد كان بين تلاميذ يسوع امرؤ يدعى سمعان الغيور the Zealot وقد خلت الاناجيل من توجيه اللوم والتقريع الى اولئك الغيارى بخلاف ما يجري مع الصدوقيين والفريسيين .

٨ ـ وقد استعملت رسالة «اعمال الرسل» كلمة الناصريين Nazarenes للدلالة على المسيحيين وذلك اذ يقول الكهنة عن بولس :

«فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميــع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين» (أعمال ٢٤:٥).

أصوله» (أشعيا ١١ : ١) .

وتنبأ المتنبئون بأن ذلك الغصن الذي سيزدهر ويبني هيكل الرب يدعى يشوع .

«ثم اخذ فضة وذهبا واعمل تيجانا وضعها على راس يهوشع بن يهويا صادق الكاهن العظيم وكلمه قائلا . هكذا قال الرب الجنود قائلا . هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب . فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما» (زكريا ٦ : ١١-١٣) .

وقد استعمل المترجمون مقابل اسم Joshua في العربية اسم يهوشع والصواب يشوع ، وسنرى فيما بعد ان يشوع ويسوع اسم واحد .

واذن فان اولئك اليهود الذين كانت تراود أذهانهم فكرة المسيح المنتظر وصفوا يسوع الناصري بأنه الغصن الذي يرتقبون مقدمه اليهم وازدهاره بينهم ، ولم يكونوا يعنون بكلمة الناصري نسبته الى قرية بهذا الاسم حسبما توهم الانجيلي القائل :

«وأتى وسكن مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا» (متى ٢ : ٢٣) .

٤ ـ واسم جلجثه او جلجلثه الذي جعلوه علما على احد مشارف أورشليم زعموا أن يسوع صلب فيه ، هو اسم لم يكن للناس به عهد ، وأغلب الظن انه محرف عن الـ «جلجال» الذي كان يؤمه صادة السمك المهاجرون من الانحاء التي يعمرها اليونانيون الوثنيون ليحتفلوا بمنأى عنهم بمسرحيتهم المنسكية التي يشهدون فيها مشهدي القتل والقيامة من الموت .

٥ ـ وقد يكون «سمعان القيرواني» هو اسم الضحية في تلك المسرحية ، ولما صبت المسرحية في القالب القصصي احتفظت

القصة بهذا الاسم وجعلت صاحبه يحمل عن يسوع صليبه الى ساحة التنفيذ كما ذكرنا آنفا .

٦ ـ والتلاميذ الاثنا عشر هم ايضا حديث خرافة ، وتبدي الاناجيل عوزا ملحوظا الى شهادة تؤيد وجودهم . والعدد ١٢ هو عدد علامات الزدياك اي رسم البروج ، فهو صفة من صفات إله الشمس ، وهو كذلك عدد الاسباط . وكلمة الرسل **Apostles** كانت في اول العهد بها تدل على اثني عشر عاملا تستعملهم السلطات اليهودية على جباية الخراج من اليهود المنبثين في الاقطار المجاورة وعلى تبليغ أوامرها اليهم ، وقد تبنى المسيحيون تلك الخطة وتمادوا فيها فكان ذلك مبعثا للزعم بأن يسوع اصطفى اثني عشر رجلا جعلهم رسلا وقد شاعت عدتهم بين الجماعة المسيحية الاولى قبل ان يطالعهم احد بأسمائهم التي أدرجت بعد ذلك في الاناجيل ، وبعض هذه الاسماء يشبه أسماء نفر من آلهة الوثنيين . وقد اشار متى الى اربعة من اولئك الرسل .

«وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل ابصر اخوين سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فانهما كانا صيادين . فقال لهما هلمّا ورائي فأجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاه . ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما . فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه» (٩) (متى ٤ : ١٨ ـ ٢٢) .

---

٩ ـ كان يسوع يصطفي اتباعه وتلاميذه من العوام الجهلاء وكان يلقى سهولة في اجتلابهم اليه . وكان الناس في ذلك العصر يتحمسون للاديان الجديدة ويشتطون احيانا في ذلك حتى كان الرجال يسخون بأملاكهم لرجال الدين الجديد ويلقي النساء بأنفسهن بين احضانهم. وهذه السهولة في تجنيد =

اما بولس فلم يرد في كلامه اشارة اليهم باستثناء آيات نعرف انها اضيفت الى المتن في زمن لاحق ، وهي تذكر عن يسوع :

«انه ظهر لصفا (١٠) ثم للاثني عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمس مئة اخ اكثرهم باق الى الان ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب (١١) ثم للرسل اجمعين . وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي انا» (١ كورنثوس ١٥ : ٥ ـ ٨) .

وقد اضيفت اسماء التلاميذ الى الاناجيل فيما بعد فوردت في :

متى ١٠ : ٢ ـ ٤ .
مرقس ٣ : ١٦ ـ ١٩ .
لوقا : ١٣ ـ ١٦ .

و ـ كالعادة ـ لم يتطابق اصحاب الاناجيل فيما يتصل بتلك الاسماء :

فقد ذكر متى اسم لباوس الملقب تداوس على حين اغفل لوقا ذكره .

وتجاهل متى اسم يهوذا اخي يعقوب على حين ذكره لوقا .

= الحمقى لشرب كأس المنون لم يكن يقابلها الا صعوبة العثور على اناس حصفاء يبحثون عن الحق ، وهذه حقيقة عرفها رجال اللاهوت المسيحي الاوائل وبلوروها في حكمة جرت مجرى الامثال تقول «ان الناس يطيب لهم ان يخدعوا ، فليخدعوا» .

١٠ ـ صفا Cephas هو سمعان (شمعون) وهو بطرس «فنظر اليه يسوع وقال انت سمعان بن يونا انت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس» (يوحنا ١ : ٤٢).

١١ ـ هو في الانجليزية James اي جيمس لا يعقوب .

وذكر يوحنا اسم التلميذ الثاني عشر وهو ونثنائيل ، وعندما عدد مرقس اسماء التلاميذ وضع اسم يعقوب بن حلفي محل لاوي بن حلفي وكان قد ذكره اول الامر بقوله :

«وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلفي جالسا عند مكان الجباية فقال له اتبعني فقام وتبعه» (مرقس ٢ : ١٤) .

وانفرد لوقا بذكر رجلين كل منهما يدعى يهوذا .

«يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي الذي صار مسلما ايضا» (لوقا ٦ : ١٦) .

وخالف يوحنا عن هؤلاء جميعا فأتى الينا من يدعيان فيليب ونثنائيل .

«فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة . فقال له نثنائيل امن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح» (يوحنا ١ : ٤٥ ـ ٤٦) .

هذا فيما يتصل بأسماء التلاميذ ، اما فيما يتصل بالأصقاع التي ارسلهم المسيح اليها فقد ذكر مرقس انه أوصاهم بأن يجوبوا ربوع العالم أجمع وأن يعلموا الانجيل للناس كافة ، على حين يقرر متى انه نهاهم عن ارتياد البلاد الاجنبية .

«الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا» (متى ١٠ : ٥) .

وذكر متى بعد أسماء الرسل وصايا جاهرهم بها يسوع وأتم بها الاصحاح العاشر ثم بدأ الاصحاح الحادي عشر بقوله :

«ولما أكمل يسوع امره لتلاميذه الاثني عشر انصرف من هناك» (متى ١١ : ١) .

اما لوقا فيقرر ان المسيح صحبهم في مهبطهم من الجبل الى السهل (لوقا ٦ : ١٧) وبثهم في القرى فمضوا يبرئون فيها

المرضى زرافات ووحدانا (لوقا ٩ : ٦) ثم بدأ يدلي اليهم بوصايا تختلف عن تلك التي أوردها في الانجيل الاول في هذا المقام .

اما مرقس فقد ذكر اسماء الرسل في كثير من التشوش مع حديث يختلف عما في الانجيلين الآنفي الذكر ، وترى يسوع يشخص الى السامرة ويبدأ الوعظ والارشاد قبل ان يرد ذكر للاثني عشر وطريقتهم في الحياة .

- ١٦ -

ينابيع المسيحية

١ ـ سيرة المسيح اقدم من يسوع

يتضح لنا من مراجعة تاريخ بعض الشعوب الشرقية وسير قادتها ممن سبقوا يسوع بقرون انه لا وجه للزعم بأنه :

«لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان» .

(يوحنا ٧ : ٤٦) .

فليس في سيرة يسوع شيء غير معهود فيمن سبقه من آلهة الوثنيين أمثال كرشنا وبوذا وحورس وباخس ومثرا وهرمس وبرومثيوس ولاؤتسي فو (١) .

---

١ ـ ومن ذلك ما نجده في مختلف العبادات القديمة من أمثلة سابقة لمعجزات يسوع ، فان ديونيسس :

أ ـ أحال الماء خمرا .

ب ـ ودعى ـ كالمسيح ـ الخمر الصادقة . =

وليس هؤلاء المذكورون آنفا غير نسخ متعددة لصورة واحدة، او ـ فلنقل ـ انهم أشكال بشرية مختلفة تجسدت فيها الوهـــة الشمس[2] .

ذلك أن الشعوب عند ارتقائها من العيش على الصيد الى حياة الزراعة نزعت الى عبادة الشمس[3] (اذ هي منشئة النهار والليل ومصنفة الفصول الاربعة ومحددة مواسم البذر والحصاد وواهبة الخصب للارض ومثيرة النمو في النبات وباعثة الدفء في الانسان والحيوان) ، وما لبثت ان اتخذت الشمس إلها اعظم على حين لم يعد الآلهة الآخرون ان يكونوا تجسدا لها . وقد ثبت ان بعض أولئك الآلهة كانوا أناسا من البشر وليس ثمة ما يحول دون ان

= ج ـ وامتطى في ذهابه الى معبد دودونا حمارين كما فعل يسوع حين ركب قاصدا أورشليم .

د ـ وأطعم أشياعه في الصحراء بطريقة عجائبية كما أطعم يسوع الخمسة الالاف وكما أطعم موسى بني اسرائيل منا وسلوى ومشى بوزيدون على صفحة الماء .

وكان ليسوع نساجة غير مخيطة يكتسي بها ، وهي تشبه «رداء النـــور» الخفي في قصة أوزيريس كما تشبه الـ «شيتون» الذي كانت تنسجه المـــرأة الاسبرطية لابولو .

٢ ـ وفي نزول المسيح الى الجحيم ما يعكس المفهوم البدائي القائل بمرور الشمس في العالم السفلي كما في أساطـير أوزيريس وهرقل وهرمز وادونيس وأرفيوس ومترا وبلدر الاسكندناوي .

٣ ـ ومن ثم كان قساوسة المسيحيين وما زالوا الى الان يغضون ابصارهم عند الصلاة كما كان يفعل أسلافهم عندما يمارسون عبادة الشمس . وليست الطفاوة (وهي دارة الشمس كالهالة للقمر) التي يجلل بها الرسامون هـــام القديسين الا أثرا تخلف عن هذه العبادة .

ولادتها ، ومن ثم جرت شعوب كثيرة كالمغول واهل التبت على تغطيس الطفل في الماء او نضحه به واهمين ان ذلك يجعله يولد ولادة جديدة يبرأ فيها من الخطيئة . وقد كان هذا «التعميد» منسكا معروفا في كثير من عبادات الوثنيين (٦) وكان أولئك الوثنيون يرجعون قدرة الماء الجاري على تطهير الارواح الى ان به من ديدنها أن تفعل ذلك .

وكان الناس ، عندما كتب يوحنا انجيله ، يتقاطرون على البركة المجاورة لسوق الغنم .

«لأن ملاكا كان ينزل احيانا في البركة ويحرك الماء . فمن نزل اولا بعد تحريك الماء كان يبرأ من اي مرض اعتراه» (يوحنا ٥ : ٤) .

وقد عمد بعض المبشرين المسيحيين في سنة ١٩٠٢ الى نشر صورة لجموع من الهندوس يتزاحمون على الاستحمام في نهر الفنج طلبا لشفاء أجسادهم وطهارة أرواحهم ، واستغل المبشرون هذه الصورة في الدعوة الى ارسال مبعوثين مسيحيين لهداية أولئك الوثنيين ، وكأنما قد غرب عن بالهم أن منسك التعميد

---

٦ ـ وكثيرا ما كانوا يعمدون بالدم ، ومن ذلك ان الرومان كانوا في بعض الاحيان يضعون الرجل في حفرة ثم ينضحونه بدم عجل او كبش او حمل يذبح عند رأسه طلبا لضمان البعث والحياة السعيدة الخالدة له . وقد نشأت كلمة blessing في اللغة الانجليزية ومعناها المبارك من الكلمة الانجلوسكسونية bledsian ومعناها يضرج بالدم . وقد جرت عادة الناس في مصر ان يقوم من يبني بيتا جديدا بذبح خروف على عتبته يطعم بضعة منه ويوزع بقيته على البنائين الذين عملوا في تشييده وعلى فقراء الحي . وليس يعني منه شيئا ان يشترى لهذا الغرض من القصاب خروفا مذبوحا في المسلخ .

تكون كثرة الباقين منهم كذلك «٤» . ولقد قطع المؤرخون الذين اموا الهند في القول «٥» بأن كرشنا وبوذا شخصان عاشا حقا ولم يكونا من ابناء الخيال . وكان باخس مملكا على لوبيا وشيد معبدا لآمون وكان اللوبيون يحسبون آمون اباه . وقد رأى هيرودوتس قبر اوزيريس في صا الحجر قبل يسوع بخمسة قرون ، وكشف مريت قبر ابيس وكان المصريون يحتفلون لعبادته عند وفاء النيل في كل عام . وآخر من عرفنا من هؤلاء الآلهة هم اباطرة اليابان، بلاد الشمس المشرقة ، فقد ظل شعبهم ينظر اليهم على انهم تجسد للشمس حتى منيت اليابان بالهزيمة الماحقة في الحرب العالمية الثانية .

٢ ـ مناسك المسيحية اقدم من المسيح

رأينا ان سيرة يسوع خلو من كل شيء طريف مستحدث ، وسنرى الان ان ديانته هي الاخرى لم تأت بشيء جديد لم يسبقها اليه غيرها من الديانات ، فتعاليمها تكرار لتعاليم أديان سابقة وشعائرها مخلفات من عقائد بائدة .

١ ـ فالتعميد أقدم من المسيحية ، بل هو أقدم من اليهودية ايضا . وقد كان للهندوس والمصريين والاغريق والرومان مياههم المقدسة .

كانت الشعوب القديمة كلها أو جلها تستخدم الماء في مناسكها الدينية ، اذ هو في وهمهم يجدد الاشياء او ـ ان شئت ـ يعيد

---

٤ ـ اما الذي يكاد الاجماع على انه حديث خرافة فهو برومثيوس القوقازي.

٥ ـ قطع فلان في القول : جزم .

بالماء مقرر في المسيحية كما هو في الهندوسية وانه لا فرق بين ان يكون ذلك في نهر الاردن او نهر الفنج .

وقد عمد بوذا وروح الله تحوم فوق هامته على هيئـــة حمامة (٧) ، وصورت الإلهة العذراء يونو وعلى راسها حمامة ، وكذلك صورت عشتروت وسيبيل وإيزيس . ولطالما اتخــذت الحمامة عند الشعوب المتمدينة رمزا للروح القدس ، وكانت الروح القدس تمثل في الجزائر النائية في المحيط الهادي في صــورة طائر .

٢ ـ والأفخارستيا (٨) عرفها الوثنيون من قبل ، فقد كانوا في عيد الحصاد يأكلون الكعك المصنوع من البر صائحين «هذا هو لحم الإله» ويحتسون الخمر هاتفين «هذا هو دم الاله» .

٣ ـ وقد اتخذ الصليب ، قبل آلاف السنين ، رمزا للاله ايني وللقبر . وكان يعمر ايطاليا قبل الرومان وقبل الإترسكان قوم يتخذون الصليب شعارا لهم .

وكان الصليب في زمن ما شعار بعض اليهود الغيُر علـى

---

٧ ـ ومن ذلك قول ابن سينا في مطلع عينيته المعروفة يرمز للروح بالورقاء اي الحمامة .

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

٨ ـ أي تناول القربان المقدس او مباركة العشاء الرباني وقت تناوله .

ويعتقد ان العشاء الرباني نشأ من اكلة عامة كانت تقيمها المجتمعـــات البدائية وكان لها فيهم أثر كأثر السحر . كانت القبيلة كلها تشترك في ذبح طوطمها الحيواني واكل لحمه على النحو الذي تقتضيهم اياه اصطلاحات سر القربان . وقد حلت المدنية مشكلة توفير الغذاء للجانب الميسور من المجتمع على الاقل ، فهان بذلك شأن هذا العشاء المشترك . ومع ذلك فان المجامع المسيحية ما تزال تبدأ تناوله بتقديم الحمد والشكر eucharistia .

الدين (٩) .

وكان المصريون في نقوشهم الهيروغليفية يرمزون بالصليب الى الحياة ، وهو يرى في ايدي آلهة المصريين ويرى احيانا ، في النقوش الجنائزية ، في افواه الموتى . وكانت الذراعان تبسطان في المناسك الخاصة بأوزيريس على هيئة الصليب .

وقد صلب آلهة مخلصون غير يسوع وهم مشدودون الى شجرة او معلقون عليها ، نذكر منهم أوزيريس وحورس . وقد ربط برومثيوس ، وهو الذي يعزو اليه الاغريق انه حبا البشر بالنار ، ممدود الذراعين الى صخور جبال القوقاز . وادى المثلون مأساته قبل عصر يسوع بخمسة قرون ، وكان القوم يضحون بأولئك الآلهة حتى تجود زراعة الحنطة وتفشو غلتها .

٤ ــ وقد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان فكرة الشيطان ذي الشخصية وجدت بادىء ذي بدء في أهريمان الفارسي امير الشر او في إله المعيز البابلي (من طريق بان الاغريقي) هذا وليس عزازيل العبري المذكور في قولهم :

---

٩ ــ «وقال له الرب : اعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم وارسم سمة على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها . وقال لاولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا . لا تشفق أعينكم ولا تعفوا . الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك . ولا تقربوا من انسان عليه السمة» (حزقيال ٩ : ٤ ــ ٦) .

«ورأيت ملاكا آخر طالعا من مشرق الشمس معه ختم الله الحي فنادى بصوت عظيم الى الملائكة الاربعة الذين اعطوا ان يضروا الارض والبحر . قائلا لا تضروا الارض ولا البحر ولا الاشجار حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم» . (رؤيا ٧ : ٢ ــ ٣) .

وأغلب الظن ان «خاتم الله الحي» هو الذي اصبح يعرف فيما بعد ب «خاتم النبوة» .

نبصر فيها الصلة بين المسيحية وعلم الفلك واضحة لا خفاء فيها. ذلك ان الدين وعلم الفلك كانا فيما انصرم من الزمان قد نشب كل منهما في الآخر ، ولا يزال شيء من ذلك ملحوظا حتى اليوم. ويرى جرالد ماسي (١٠) انه كان يلذ للبدائيين في طور تعبدهم للأجرام السماوية ان يعبروا عن معتقداتهم برموز فلكية ، وكان فيما اصطنعوا من تلك الرموز إله يُصلب ثم يقوم من الموت ، وهو ما اشار اليه اكلمنضوس Clement الاسكندري (١١) في قوله : وكان الاساس عندهم هو الموت الخرافي للشمس ثم قيامتها من الموت .

هذا وقد كان الاولون يتصورون انهم يرون في السماء صورة لعذراء تحمل طفلا منحدرا من أب من الآلهة ، وقد اثبت الهنود هذه الصورة في الزدياك قبل ثلاثين قرنا او تزيد ، وكذلك فعل المصريون .

وتتجلى علامة «العذراء السماوية» في الزدياك في الافق الشرقي يوم ٢٥ ديسمبر اذ ترتفع الشمس درجة واحدة فوق نقطة الاعتدال ، وذلك اذان بمولد سنة جديدة . وما تزال بعض المصورات الجغرافية الحديثة ترسم الشمس (وهي الإله الابن) على انها ولدت في ٢٥ ديسمبر وقد بزغت فوق دائرة الافق من جهة الشرق خارجة من مريم (١٢) اي من البحر يتلألأ امامها نجم يوحي بالآية :

---

١٠ ـ Gerald Massey في كتابه «يسوع التاريخي والمسيح الاسطوري» وقد طبع في لندن سنة ١٩٣٦ .

١١ ـ ولد في اثينا او الاسكندرية نحو سنة ١٦٠ م ومات سنة ٢٢٠ م ويعد من كبار الذين ذادوا عن حياض المسيحية في القرن الثالث الميلادي .

١٢ ـ يسمى البحر في اللاتينية واللغات المشتقة منها Mare, Maria, Mary ويسمى في الالمانية Meer وهلم جرا .

«ويلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للـرب وقرعة لعزازيل» (لاويون ١٦ : ٨) .

ليس عزازيل هذا الا صورة منحولة عن بان إله المعيز ، ومن ثم كان الشيطان مزودا بقرنين وحافرين وذنب .

أما ملائكة المسيحية ، وقد بدأ الكاثوليك يعبدونهم في القرن السادس ، فهم الذين كانوا عند الوثنيين آلهة صغار ، أمـــا رؤساء الملائكة فقد استعار اليهود بعضهم من البابليين والفرس في أثناء السبي وبعده .

٣ ـ تطور المسيحية

نشأت المسيحية يسيرة الفكرة محدودة الموضوع ، بيد ان أتباعها شاؤا لها أن تضخم وتفقم ، فنبذوا شريعة موسى ظهريا وأبطلوا مناسك العبريين وزفوا ديانتهم المجددة الى الاغريـــق والرومان وأقبلوا يضيفون اليها من الاساطير المصرية والفلسفـة الاغريقية والعقيدة الإسية Essene والاقاصيص الشعبيـــة الشرقية ما صيَّرها الى ما صارت اليه ودسوا فيها من ملـــل الشعوب المجاورة ومناسكهم ما يجعلها أسوغ عند صغار الاحلام وان كانوا بذلك قد أفقدوها خصائصها الاصلية . مغفلين مـــا حكوه عن يسوع من انه قال :

«ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه» (متى ١٦ : ٢٦) .

لقد بدأت المسيحية كما يبدأ النهر جدولا صغيرا ينساب بين الجبال مترقرقا سلسالا ثم تتصل به نهيرات مختلفة فتختلـــط أمواهها ويبرز النهر آخر الامر عملاقا ملتطم الامواج .

٤ ـ علم الفلك وأثره في المسيحية

وقد انتخل الانجيليون سيرة يسوع من الوثنية ، ولهذا فنحن

«فاننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» .
(متى ٢ : ٢) .

ويوم ٢٥ ديسمبر هو يوم ميلاد جميع آلهة الشمس من بلاد الغال غربا حتى الهند شرقا ومن الشمال الذي يجمده زمهرير الثلج الى الجنوب الذي يذيبه أوار الشمس . وقد وقع اختيار الكنيسة اللاتينية في النصف الثاني من القرن الرابع على هذا العيد الوثني القديم ليكون عيدا لمولد يسوع المسيح (١٣) . وكان الآباء المسيحيون قبل ذلك قد عينوا لميلاد يسوع يومين احدهما في الاعتدال الشتوي والآخر في الاعتدال الربيعي ، وهذان اليومان اللذان لا يتأتى ان يكونا كلاهما تاريخيين مؤسسان على الميلاد المزدوج لحورس في مصر ، فقد أخبر بلوتارك أن ايزيس ولدت حورس الطفل حوالي زمن الاعتدال الشتوي وأن العيد الثاني لميلاد حورس يلي الاعتدال الربيعي ، ولهذا اتخذ الاعتدالان الشتوي والربيعي يومي ميلاد ليسوع ، وهو ما لا يحدث في تاريخ البشر وانما هو الشكل الثنائي الذي يتصل بإله الشمس في مصر .

هذا فيما يتعلق بزمن ولادة يسوع ، أما فيما يتعلق بمكان تلك الولادة فنلاحظ :

اولا ــ أن ولادته تمت في غيبة أبويه عن موطنهما .

«فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود ... ليكتتب مع مريم امراته المخطوبة وهي حبلى . وبينما هما هنالك تمت ايامها لتلد» (لوقا ٢ : ٤ ــ ٦) .

---

١٣ ــ واحتفظ البازيليديون لهذا العيد بيوم ٢٥ ابريل واتخذ له غيرهم يوم ٢٥ مايو . وأكثر الكنائس الشرقية على انه يوم ٧ يناير .

وذلك انعكاس لرحلة حدثت قبيل مولد حورس ، ولذلك مثيل يتصل بمولد كل من لاتونا وأبولو ومايا (الهندية (Maya) وبوذا .

ثانيا ـ ان تلك الولادة كانت في اصطبل (او حظيرة للماشية) اذ انهم كانوا يعتقدون في ذلك العصر الذي ذاعت فيه الاسطورة الشمسية ان الشمس تتسلل في الاعتدال الشمسي في هيئة الثور .

وتزعم الاسطورة المثرية ان مثرا ولد في كهف ، فاكتسب الكهف قدسية عند من يعرفونه بوصفه محل تلك الولادة (١٤) ، واستمر الكهف مكانا لميلاد يسوع كما هو واضح في أناجيل الطفولة .

قال جوستين الشهيد «ولد المسيح في اصطبل ثم لاذ بكهف»، فهو بذلك قد شهد بأن المسيح ولد في اليوم الذي أعيد فيه ميلاد الشمس في اصطبل أوجيا .

وكان المغاربة يحتفلون لمولد الطفل في الكهف فيرفع كاهنهم عقيرته صائحا : قد ولدت العذراء وأوشك النور ان يبدأ في الازدياد من جديد .

---

١٤ ـ وكانت عبادة مثرا تمارس في الكهوف ، ولهذا فقد صوروا الشمس تعود الى الكهف ليلا للراحة والاستجمام .

وكانت ايام الاسبوع عندهم تبدأ بيوم الشمس Sunday وكان يسمى كذلك يوم الرب ، فان الرب Lord لقب من القاب مثرا . وكانوا يحتفلون لعبادة مثرا في عيدين عظيمي الشأن يقع احدهما في الاعتدال الشتوي وهو عيد ميلاد الشمس الذي اصبح عيدا لميلاد يسوع المسيح ويقع الآخر في الاعتدال الربيعي وهو عيد الفصح . ويتضح من ذلك ان مثرا هو إله للانبات والـه للشمس .

ويرسم يسوع في هيئة «الراعي الصالح» على منكبيه حمل، وما هذه الصورة الا انعكاس لصورة هرمز يحمل كبشا ، وهي نموذج لطرق التعبير الوثنية عن الاساطير .

وقد كان اليونانيون في عبادتهم البدائية لأورفيوس يمثلونه على انه «الراعي الصالح» و«صياد الناس» فاستعار المسيحيون الاوائل هذين اللقبين كما استعاروا اطلاق لفظة «الكلمة» على الله وكانت قبل Thoth تطلق على ثث وهرمز ومثرا .

وقد اقتبست المسيحية من الوثنية غير قليل من الالقاب والاحداث والتعاليم ، فمن ذلك :

١ ـ «المسيح» .

ان الكلمة الاغريقية التي تعني المسيح اي الممسوح بالدهن المقدس او المضمخ بالزيت هي Christos ، بيد ان هنالك كلمة اخرى مشابهة لها وردت غير مرة في العهد الجديد على انها اسم من أسماء الله الحسنى هي Chrestos ومعناها طيب او صالح او منعم او رؤوف .

«فانه منعم على غير الشاكرين والاشرار» (لوقا ٦ : ٣٥) .

«وقال ايها المعلم الصالح» (متى ١٩ : ١٦) .

«فان كنتم قد ذقتم ان الرب صالح» (١ بطرس ٢ : ٣) .

وقد عهدنا القابا كهذه تطلق على أوزيريس وإيزيس وهرمز ومن اليهم من آلهة الغوامض الساموثراقية .

٢ ـ «المخلّص» .

شاع هذا اللقب في اديان كثيرة اطلقه المصريون على أوزيريس والاسرائيليون على يهوه واليونانيون على زيوس وهليوس وارتميس وديونيسس وهرقل .

٣ ـ الالف والياء (Alpha & Omega) .

«انا هو الالف والياء . البداية والنهاية . يقول

الرب الكائن والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤيا ١ : ٨) .

«ثم قال لي قد تم . انا هو الالف والياء البداية والنهاية . انا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا» (رؤيا ٢١ : ٦) .

«انا الألف والياء . البداية والنهاية. الاول والآخر» (رؤيا ٢٢ : ١٣) .

وهو مصطلح وثني موغل في القدم كما يرى في كتاب الموتى المصري وفي شريعة أفلاطون (٤ : ٧) .

الله الاول والاخر .

ووصف زيوس بأنه :

زيوس كان . زيوس يكون . زيوس سيكون .

٤ ـ مذبحة الاطفال .

وهذه ايضا استعارها المسيحيون من الاساطير المبنية على العلوم الفلكية البدائية ، فليست تلك المذبحة التي أجريت بأمر هيرودس الا انعكاسا لمحاولة قتل الطفل إله الشمس ، فعندما توشك النجوم على الأفول آخر الليل يأخذ ضوء الفجر في الانتشار فيشحب لونها ويبدو المشهد وكأنه ثم مذبحة ينجو منها إله الشمس الحديث الولادة. وقد تكرر هذا الزعم لكل من رومولو وهرقل [١٥] وأتيس وموسى الخ الخ .

ونرى في رؤيا يوحنا صورة للطفل إله الشمس يلتهمه اثر

---

١٥ ـ ويقال ان المعنى الحرفي لاسم هيرودس هو «بطل الجلد» . وكذلك يعني اسمه «هرقل» فهو الشمس متجسدة في إهاب انسان. وقد كانوا يتوهمون ان الشمس حين تدخل منطقة البروج في شهر يوليو تكتسي مسلاخ اسد وبذلك تصبح لها بطولة الجلد فتكون البطل ذات الجلد الجديد .

ولادته تنين الظلام .

«وحدثت حرب في السماء . ميخائيل وملائكته
حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته . ولم يقووا
فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء . فطرح التنين
العظيم ، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي
يضل العالم كله طرح الى الارض وطرحت معه
ملائكته» (رؤيا يوحنا ١٢ : ٧ ـ ٩) .

٥ ـ امتطاء حمارين .

وسفر يسوع ممتطيا حمارين معا

«وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما
فجلس عليهما» (متى ٢١ : ٧) .

ليس الا تمثيلا لمرور الشمس عند الاعتدال الصيفي في برج السرطان وهو ما كان كل من البابليين والاغريق يرمز اليه بحمارين .

٦ ـ اجمعت الاناجيل الثلاثة الاول على ان صلب يسوع كان في ١٥ نيسان (ابريل) على حين يقول انجيل يوحنا في صيغة التأكيد انه كان في ١٤ منه . وقد نشأ هذا الاختلاف من ان حادثة الصلب قد حدد زمانها باكتمال القمر في عيد الفصح ، ويقع ذلك يوم ١٤ من الشهر القمري الذي ينتظم ٢٨ يوما على حين هو يقع يوم ١٥ من الشهر الشمسي الذي ينتظم ٣٠ يوما ، وهذا يؤيد ان الصلب حادث فلكي لاتاريخي .

٧ ـ ويشتمل كل من كتاب المسيحيين المقدس وكتاب الهندوس المقدس على كلمة «رامة» .

«وذهب صموئيل الى الرامة» (١ صموئيل ١٥:٣٤) .

«حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل صوت سمع
في الرامة . نوح وبكاء وعويل كثير . راحيل تبكي
على اولادها ولا تريد ان تتعزى لانهم ليسوا

بموجودين» (١٦) (متى ٢ : ١٧) .

ومن المعلوم :

أ ـ ان لفظة «رامة» هي الترجمة الهندية والفينيقية لكلمة «زدياك» ومعناها منطقة البروج .

ب ـ أن راحيل كانت تبكي اثنين من اولادها ، هما يوسف وبنيامين كما هو معلوم .

«وابنا راحيل يوسف وبنيامين» . (تكوين ٣٥:٢٤) .

وهذا الرقم (٢) هو الذي في العلامة الخامسة بالزدياك اي انه علامة شهر مايو . وقد كان الاشوريون والفينيقيون يصورون الزهرة وهي تمسح دموعها عندما تمر الشمس في دورتها السنوية بالتوآمين الفلكيين «الجوزاء» خيفة ان يكون مصيرها الهلاك .

٨ ـ وهناك أمثلة اخرى من هذا القبيل لم نسترسل في سردها لما تنطوي عليه من معلومات فلكية معقدة ، ومنها نرى ان جل الوقائع العجيبة التي ترويها الكتب المسيحية المقدسة انما يرمز بها الى احداث فلكية .

٥ ـ المسيحية من المثروية

وكان لعبادة مثرا ايضا نصيب في تكوين المسيحية ، فقد شقت تلك العبادة طريقا لها الى روما سنة ٧٠ ق.م وظلت بضعة قرون محتفظة بمكانة بارزة بين العبادات التي تمارس في ربوع

---

١٦ ـ لم ينتبه المترجم الى ان هذه الآية وإن وردت في الاصل بصيغة الجمع فان السياق يقتضي نقلها الى العربية في صيغة المثنى وهي صيغة لا وجود لها في اللغات المنقول عنها .

الامبراطورية الرومانية، وقد تفشت بين جنود الجيش الروماني وهم يمارسون اعمالهم في الشرق في عهد موسى (١٧) وكانت في وقت ما منافسا خطيرا للمسيحية ، بل لقد اوشكت ان تظهر عليها ، وقد احتضنها يوليانوس المرتد (١٨) لولا انه باء بالهزيمة ولقي الموت سنة ٣٦٣ م بأيدي الفرس الذين نشأت المثروية بينهم، فكان آخر من حكم من سلالة قسطنطين . وقد تطير خلفه على الملك من هذه الخاتمة واختار المسيحية دينا ، وتبعته الرعية ، فالناس يومئذ على دين ملوكهم .

وقد اقتبست المسيحية بعض ما في المثروية ، من ذلك مفتاح دار النعيم ومفتاح الجحيم وتيجان الاساقفة واحذيتهم الحمراء ولقب «بابا» وكان يلقب به رئيس كهنة مثرا .

ويلاحظ بعضهم ان هناك شبها بين مثرا والقديس بطرس ، ومن ذلك ان مثرا كان يحمل مفتاحين للدخول والخروج فوق ما يسمونه الجلد او الرقيع اي قبة السماء ، واذن فالمسيحية مدينة له بالمفتاحين اللذين يحملهما بطرس بيديه لدار النعيم ودار الجحيم .

ومما يؤيد ذلك انهم كانوا يرمزون الى مثرا (بوصفه إلها للشمس) بالديك ، فاذا تذكرنا قصة بطرس وصياح الديك

«وصاح الديك ثانية . فتذكر بطرس القول الذي قاله له يسوع انك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات» (مرقس ١٤ : ٧٢) .

---

١٧ ـ دوخ القائد الروماني بومبي مملكة يهوذا سنة ٦٣ ق.م وجبى منها الخراج . وتوفي سنة ٤٨ ق.م .

١٨ ـ ابن اخت قسطنطين الكبير نودي به امبراطورا تنصر ثم عاد الى عبادة الاوثان . له مؤلفات فلسفية على مذهب الافلاطونية الجديدة .

وهي قصة تبعث على الارتياب لان اقتناء الديكة في المدينة المقدسة كان محظورا. اذا تذكرنا ذلك تجلى لنا ان بطرس إن هو ـ من هذه الناحية ـ الا صورة لمثرا . وفي الحق ان كثيرا من قديسي المسيحية هم صور للآلهة القدامى فالقديس أونوفريس هو أوزوريس وهلم جرا .

٦ ـ المسيحية من اليهودية

واليهودية ايضا ينبوع من الينابيع التي استقى منها صناع المسيحية . وبما ان اليهودية هي ذروة الوثنية (١٩) فمعنى ذلك ازدياد مقدار الوثنية في الديانة المسيحية .

وان ما نقع عليه في الاناجيل من الحث على الزهد وإنكار النفس وإيثار الغير والرفق بالعدو ومحبة الناس وما الى ذلك من مكارم الاخلاق مستعار من اليهودية ، فقول المسيح :

«تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب . فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين وحملي خفيف» (متى ١١ : ٢٨ ـ ٣٠) .

يذكرنا بقول سابق :

«ايها العطاشى جميعا هلموا الى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع . استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم انفسكم . اميلوا آذانكم وهلموا الي.

---

١٩ ـ وقد فصلنا ذلك في كتاب لنا لم نطبعه بعد عنوانه «رواسب الوثنية في ديانة اليهود» .

اسمعوا فتحيا أنفسكم واقطع لكم عهدا أبديا يا مراحم داود الصادقة» (أشعيا ٥٥ : ١ ــ ٣) .

وصيغة الصلاة للرب :

«أبانا الذي في السموات . ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضا للمذنبين الينا . ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد . آمين» (متى ٦ : ٩ ــ ١٣) .

مقتبسة من أقوال يهودية شتى منها :

«لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لان لك كل ما في السموات والارض . لك يا رب الملك وقد ارتفعت رأسا على الجميع» (١ أخبار ٢٩ : ١١) .

«اغفر لجارك الاذى الذي الحقه بك حتى تغتفر خطاياك عندما تصلي» (الحكمة ٢٣ : ٢٣ ــ ٢٤) .

«تبارك الله كل يوم من اجل الخبز الذي يعطينا اياه» (التلمود) (٢٠) .

---

٢٠ ــ عندما تبدد شمل اليهود بعد تدمير أورشليم سنة ٧٠ م وهووا الى درك المذلة والهوان اخذ الحاخامون على انفسهم ان يكملوا الشريعة اليهودية على ذلك ان يلم شمث القوم ، فعمدوا الى تدوين المشنا اي التعاليم الشفوية وانجزوا ذلك فيما بين سنتي ٩٠ و٢٢٠ م ، وهي الفترة التي نما فيها العهد الجديد واكتمل ، ثم وضعوا فيما بين سنتي ٢٢٠ و٥٠٠ م مجموعة اخرى من التعاليم يكملون فيها المشنا عرفت باسم الجمر أي التكملة ، ومن هاتين المجموعتين يتكون ما يطلق عليه اسم التلمود اي التعليم .

والخطبة على الجبل (٢١) وهي شذرات (٢٢) من أقوال حكيمة غير مترابطة وهي خالية من خصائص الخطب والمواعظ ، كلها أقدم من المسيح وقد اقتبس الكثير منها من العهد القديم والأبوكريفا(٢٣) وتعاليم الرسل (٢٤) .

واليكم مثلا لذلك :

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣) .	« والرب حافظ البسطاء تذللت فخلصني » (مزمور ١١٦ : ٦) .
« طوبى للأتقياء القلب لانهم يعاينون الله» (متى ٥ : ٨) .	«من يصعد الى جبال الرب ومن يقوم في موضع قدسه الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه الى الباطل ولا حلف كذبا» . (مزمور ٢٤ : ٣ ـ ٤) .
«وكل من يغضب على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم» (متى ٢٥ : ٢٢) .	«كل من يورث أخاه الخجل بين الناس لن يشارك في الحياة المقبلة» (التلمود) .

---

٢١ ـ كما جعلها متى في قوله :

«ولما رأى الجموع صعد الى الجبل» (متى ٥ : ١) .

اوفى السهل كما جعلها لوقا :

«ونزل معهم ووقف في موضع سهل» (لوقا ٦ : ١٧) .

٢٢ ـ الشذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون اذابة الحجارة .

٢٣ ـ Apochrypha كلمة يونانية معناها اشياء مخفاة . ويطلق البروتستانت هذه الكلمة على الاسفار التي ينكرون قدسيتها وتسمى بالاسفار غير الموثوق بها.

٢٤ ـ كتب هذا المؤلف بين سنتي ١٣٠ ق٠م و١٠ م .

«بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر ايضا» (متى ٥ : ٣٩) .	«جيد للرجل أن يحمل النير في صباه ... يعطي خده لضاربه . يشبع عارا » (مراثي إرميا ٣ : ٢٧–٣٠) . «اذا أهوى اليك امرؤ بلطمة على خدك الايمن فأدر له الآخر ايضا فتكون كاملا» (تعاليم الرسل الاثني عشر الفصل الاول) .
«وعندما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالامم» (متى ٦ : ٧) .	«فليقلل المرء دائما من كلامه أمام وجه الله » . (التلمود) .

ولا غرو ان يكون الامر كذلك ، فقد نشأ المسيحيون الاوائل على انهم شيعة من اليهود بغيتهم ان يكملوا ناموس (٢٥) موسى لا ان ينقضوه ، وبدات المسيحية بوصفها تكملة للناموس . وقبل المسيحيون «العهد القديم» (٢٦) قائلين انه اول كتاب أنزله الله على البشر وان «العهد الجديد» هو آخر تنزيل من لدنه . ولا عجب في ان يذهبوا هذا المذهب فانهم ليسوا سوى فرقة من اليهود تعبد يهوه مع سائر اليهود . واذا كان النزاع قد اشتجر بين الفريقين في اختيار الصفات القمينة بأن تعزى الى رأس

---

٢٥ – يطلق اليهود كلمة الناموس وهي في الانجليزية The Law على الاسفار الخمسة (Pentateuch) الاولى من التوراة (Torah) قانون او شريعة . وكلمة (Pentateuch) ماخوذة من اليونانية (Pente) خمسة و (Teuchos) كتاب .

٢٦ – ويقال كذلك ان العهد القديم سجل لتاريخ شعب والعهد الجديد سجل لتاريخ عقيدة .

الآلهة فقد اشتجر كذلك بين مختلف الشيع التي تتبع كلا من الملتين .

ولقد كان يسوع نفسه يهوديا .

«حتى تعجب الجموع اذ رأوا الخرس يتكلمون
والشل يصحون والعرج يمشون والعمي يبصرون .
ومجدوا إله اسرائيل» (متى ١٥ : ٣١) .

بل انه لبث برهة يقصر دعوته على اليهود .

«فأجاب وقال . لم أرسل الا الى خراف بيت
اسرائيل الضالة» (متى ١٥ : ٢٤) .

ومحور المسيحية هو ما قصه اليهود من خطيئة آدم ، وبدون هذه القصة تفقد كفارة المسيح كل معنى ويصبح التجسد والصلب والقيامة من الموت عبثا لا طائل وراءه .

ويتخذ رجال الكهنوت المسيحي من خرافات اليهود ظهيرا لخرافاتهم ، ويعتمدون في سرد سيرة المسيح على التمحل في تأويل أحاديث من سلف من أنبياء بني اسرائيل .

«لانكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني
لانه هو كتب عني» (يوحنا ٥ : ٤٦) .

وقد عثر المنقبون على ورقة من اوراق البردي يرجع العهد بها الى القرن الثاني او الثالث ق.م تتضمن الصيغة السحرية الآتية:

اقسمت عليك بإله العبرانيين يسوع .

مما يفهم منه ان يسوع ان هو الا يهوه نفسه ، وان اسم يشوع في العبرية ، وهو يسوع في اليونانية ، معناه «يهوه مخلّص» وذلك ايضا يشير الى ان يشوع هو يهوه نفسه .

٦ ــ المسيحية من الإسية

لسنا نعرف تماما كيف نبتت رملة الإسيين ولا متى كان

منبتها ، ولكنا نعرف ان الاسيين كانوا يعيشون في عهد يونان مكابيوس سنة ١٥٠ ق.م ، وأن فرقتهم كانت بين فرق اليهود ثالثة ثلاث الى جوار الفريسيين والصدوقيين ، وكانوا بين اليهود أشبه بالفيثاغوريين بين الاغريق . ونرى فيما دوّنه كل من فيلون (٢٧) ويوسفس (٢٨) وبليني (٢٩) ذلك التشابه الوثيق بين عقيدة الإسيين الموطنين بالاسكندرية والعقيدة المسيحية ، فمن ذلك انه :

١ ـ كان الإسيون يعتقدون ان اول واجباتهم ان يبحثوا عن مملكة الله وبره . وقد نقل الانجيل الاول ان المسيح قال في خطبته على الجبل :

«لكن اطلبوا اولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (متى ٦ : ٣٣ ولوقا ١٢ : ٣١) .

---

٢٧ ـ من اليهود الاسيين ولد بالاسكندرية حوالي سنة ٢٠ ق.م ومات بين سنة ٥٤ و٦٠ م حاول ان يفصح عن معتقده الديني مستعينا بالتعابير الفلسفية اليونانية . كان ينحو المنحى الرمزي . له تأثير جدي في آباء الكنيسة الشرقية وفي فلاسفة العرب .

٢٨ ـ فلافيوس يوسفس من اهل اليهودية ، ولد في أورشليم سنة ٣٧ م وكان ذات يوم عضوا في الاخوان الاسيين وكتب عنهم في كتابه «حروب اليهودية» ومن آثاره كذلك كتاب «العاديات اليهودية» وهو يقص تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى سنة ٦٩ م . وقد عاش يوسفس حتى سنة ١٠٠ م .

٢٩ ـ وُلد العالم الطبيعي الروماني بلينيوس في كومي سنة ٢٣ م ومن آثاره كتاب التاريخ الطبيعي وهو دائرة معارف تقع في ٣٧ جزءا تطلعنا على المعارف التي كان يعتقدها الاقدمون في ذلك العصر .

كان قائدا للاسطول في مسينا فلما ثار بركان فيزوف سنة ٧٩ ق.م قصد الى بومبي وهركيولنم للاسهام في أعمال الانقاذ فمات مختنقا بالغاز الكبريتي .

٢ ـ وكانوا يتنادون : لا تكنزوا لكم شيئا على الارض واتجهوا بتفكيركم صوب السماء .

«لا تكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد السوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون » .
(متى ٦ : ١٩ ـ ٢٠) .

٣ ـ وكانوا لا يتعاملون فيما بينهم بالبيع والشراء بل ينفق كل منهم مما يحرزون جميعا وبذلك يستوفي كل منهم حاجته .

وقال لوقا في تبيان نجاح الرسل في نشر دعوتهم يصف النظام الذي ارتضاه المؤمنون الجدد وساروا عليه .

«وجميع الذين آمنوا كانوا معا وكان عندهم كل شيء مشتركا . والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج»
(أعمال ٢ : ٤٤ ـ ٤٥) .

٤ ـ وكان كل منهم يبيع ما يملكه فيتوزعون الثمن جميعا بأن يأخذ كل وفق حاجته ، وهكذا غدوا وليس بينهم من هو في حاجة الى شيء .

«اذ لم يكن فيهم احد محتاجا لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج» (أعمال ٤ : ٣٤ـ٣٥) .

٥ ـ وقد انصرفوا بتاتا عن الاهتمام بمشاغل الحياة ونأوا بأنفسهم عن المجتمعات وجعلوا يعوجون [٣٠] بالحدائق والصحاري

---

٣٠ ـ عاج بالمكان : أقام به .

وما الى ذلك .

«تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الارض» (الى العبرانيين ١١ : ٣٨) .

٦ ـ وهجروا آباءهم وأمهاتهم وإخوتهم ومنازلهم وأرضهم في سبيل الملة .

«وان كل واحد يأتي الي ولا يبغض اباه وامه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه فلا يقدر ان يكون لي تلميذا» (لوقا ١٤ : ٢٦) .

٧ ـ وكانوا لانصرافهم عن هذا العالم يسمون احيانا بالزهاد .

«ليسوا من العالم كما اني لست من العالم» (يوحنا ١٧ : ١٦) .

٨ ـ وهي تسمية تلائمهم لصرامة نظمهم وغلوهم في اخذ انفسهم بالشدة حتى لقد قام بعضهم بخصاء انفسهم .

«ويوجد خصيان خصوا انفسهم حتى ملكوت السموات» (متى ١٩ : ١٢) .

٩ ـ وكانوا يعفون عن الثياب المزركشة والحلي .

«ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب» (١ بطرس ٣ : ٣) .

١٠ ـ وكانوا لا ينادون احدا بقولهم يا معلم .

«واما انتم فلا تدعوا سيدي (Rabbi) لان معلمكم (Master) واحد المسيح» (متى ٢٣ : ٨) .

١١ ـ وكانوا يجتنبون الحلف .

«وأما انا فأقول لكم لا تحلفوا البتة» (متى ٥:٣٤) .

١٢ ـ وكانوا يعافون الطعام فيه دم ولا يقربون لحما مما ذبح على النصب .

«أن تمتنعوا عما ذبح للاصنام (٢١) وعن الدم

---

٣١ ـ «انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله =

والمخنوق والزنى» (أعمال ١٥ : ٢٤) .

١٣ ـ وكانوا لا يحملون معهم في الطريق سفرة [٣٢] من لحم وشراب يتزودون بها في تجوالهم ولا شيئا غير ذلك مما لا غناء للمرء عنه في حله ومرتحله .

«وأوصاهم ان لا يحملوا شيئا للطريق غير عصا .
لا مزودا ولا خبزا ولا نحاسا في المنطقة» (مرقس ٦:٨).

١٤ ـ وكانوا يفسرون الفاظ الكتب المقدسة على انها رموز واستعارات .

قال بولس :

«وكل ذلك رمز» (الى غلاطية ٤ : ٢٤) . .

= فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم» (البقرة ١٧٣) .

«انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم» (النحل ١١٥) .

«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة ...» (المائدة ٣) .

«قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم» (الانعام ١٤٥) .

كلمة «فسقا» معطوفة على «لحم خنزير» والمراد بذلك ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها بل ذكر بدلا منه اسم احد الاصنام او احد الطواغيت .

«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب...» (المائدة ٣) .

٣٢ ـ السفرة : طعام يصنع للمسافر و ـ المائدة وما عليها من الطعام .

١٥ ــ وكانوا زاهدين في الملذات الجسدية يعزفون عن التناسل ويأبون الزواج ويرون فيه مفسدة للحياة المقدسة .

«غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. واما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته » (١ كورنثوس ٧ : ٣٢ ــ ٣٣) .

١٦ ــ ويعدون الجسد سجنا قمينا بأن يستحي المرء من تزويده بالقوت .

«الذي سيغير شكل جسد تواضعنا» [٣٣] (فيلبي ٣ : ٢١) .

١٧ ــ وكانوا يكثرون من الصيام حتى لقد كانوا لا يتناولون الطعام الا وجبة واحدة كل ثلاثة ايام او يزيد .

«في تعب وكد . في اسهار مرارا كثيرة في جوع وعطش . في اصوام مرارا كثيرة» (٢ كورنثوس ١١ : ٢٧) .

١٨ ــ وكانوا يدعون الى امتثال أوامر .

«أطيعوا مرشديكم [٣٤] واخضعوا» .

١٩ ــ وكانوا ينكرون الحرب أشد الانكار .

«لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون» (يوحنا ١٨ : ٣٦) .

٢٠ ــ وكانوا على حذق بتعبير الرؤيا والتكهن بأحداث المستقبل .

«فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما» (أعمال ٢ : ١٧) .

---

٣٣ ــ الترجمة سقيمة وصوابها : الذي سيغير جسدنا الرذل الدنيء .

٣٤ ــ الترجمة سقيمة وصوابها : اطيعوا حكامكم (او أولي الامر منكم) .

٢١ ـ وكانوا يعظون بالمجازات والرموز والامثال .

«وبدون مثل لم يكن يكلمهم» (متى ١٣ : ٣٤) .

٢٢ ـ وينشدون المزامير في اجتماعاتهم .

«معلمون ومنذرون بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح واغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب» (كولوس ٣ : ١٦) .

٢٣ ـ وكان من سننهم تكسير الخبز عند تناول الطعام .

«واخذ خبزا وشكر وكسر» (لوقا ٢٢ : ١٩) .

٢٤ ـ وكانوا يزورون عن إزلاف القرابين ، معتقدين ان المولى يتقبل الروح الورعة التقية بقبول حسن .

«وانما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية» (الى العبرانيين ١٠ : ١٨) .

٢٥ ـ ودينهم زاخر بأسرار تعاهدوا على الا يبوحوا بها .

«فأجاب وقال لهم . لانه قد اعطي لكم ان تعرفوا اسرار ملكوت السموات . واما لاولئك فلم يعط» . (متى ١٣ : ١١) .

٢٦ ـ وكانوا يعمدون الموتى ايضا .

«والا فماذا يصنع الذين يعتمدون من اجل الاموات» (١ كورنثوس ١٥ : ٢٩) .

٢٧ ـ وعندهم ان الله كتب على المرء ما سيعرض له في حياته من احداث .

«بمقتضى علم الله الآب السابق» (١ بطرس ١:٢) .

٢٨ ـ وكانوا لا يقولون ببعث الجسد .

«يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا» . (١ كورنثوس ١٥ : ٤٤) .

٢٩ ـ وكانوا يؤمنون بالفردوس وبمكان آخر لا يكف الخلق فيه عن النحيب .

«ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكاء
وصرير الاسنان» (متى ١٣ : ٤٢) .

٣٠ ـ ويعتقدون ان ثم من يتوسط بين الله وارواح الناس .
«لانه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله
والناس » (تيموثاوس ٢ : ٥) .

وما من حاجة بنا الى الاسترسال في هذه المقارنة ، ففيما تقدم كفاية لاظهار المشابه الواضحة بين الديانتين ، وهو امر لا غرابة فيه :

١ ـ لانهما كليهما متطوران عن الدين اليهودي .
٢ ـ لان كهنة كل من الديانتين كانوا يبثون الدعوة الى ديانتهم في اليهودية وفي الاسكندرية على السواء .

وبما ان المسيحية أحدث عهدا فمن حقنا ان نعدها الابن الشرعي للاسية بل ان يوسبيوس وهو من ابرز كتاب اللاهوت وجيبون وهو من اعلام الكتاب في القرن التاسع عشر يريان ان الإسية هي الاسم الذي اطلق على عقيدة المسيحيين في بادىء امرها واستبدل به اسم المسيحية فيما بعد .

وقد اكد بعض المحدثين :

أ ـ ان الإسيين هم مسيحيون حقيقيون عاشوا قبل يسوع المسيح .
ب ـ ان المسيحيين هم الإسيون المتأخرون ، وان اسم المسيحية ـ في اجمع الظن ـ قد صيغ في انطاكية .
ج ـ ان الاناجيل كتبها الإسيون من قبل وكانت كتابتها بلسان يونان وهو اللسان الذي الف إسّيو الاسكندرية ان يدونوا به مؤلفاتهم .

اما اولئك الاربعة الذين عزيت اليهم الاناجيل فهم صيادو سمك أميّون ليس لديهم من المعارف غير ما لدى عامة اليهود منها وذلك ما يقطع بأنهم ليسوا المؤلفين الحقيقيين لها .

هذا الراي واسع الذيوع في الوقت الحاضر . وقد ظفر السيد هاتفلد في سنة ١٧٩٣ م بجائزة من كلية اللاهوت في جوتنجن بألمانيا لمبحث قدمه واورد فيه البراهين الدامغة على ان متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يؤلفوا الاناجيل التي تحمل اسماءهم وان علاقتهم بها لم تتعدَّ انتساخهم اياها .

ومما يعزز هذا الراي ان هذه الاناجيل تشتمل على كلمة «كنيسة» .

«وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» .
(متى ١٨ : ١٧) .

وذلك في الوقت الذي كان ممثلو العقيدة المسيحية لم يتقدموا بعد خطوة لانشاء الكنائس ، مما يدل على ان كاتب انجيل متى انما كان يشير الى كنيسة الإسيين وهي الكنيسة الوحيدة التي كانت قائمة في ذلك الوقت .

لقد كان للاسيين ، قبل بضعة قرون من عصر المسيح ، جدول بأسماء المناصب الدينية وما اليها : اساقفة . قساوسة . شمامسة . كتب مقدسة . رسائل . مزامير . اناشيد . أسرار وكنايات ، فاذا كان القوم في ايام المسيح ورسله قد اعادوا بناء المسيحية فانهم كانوا في غير حاجة الى ابتداع شيء يتصل بالعقيدة والشريعة والنظام الكنسي والمصطلحات الدينية ، اذ ان ذلك كان قد اعتدّ لهم من قرون خلت .

نرى مما تقدم ان الإسية والمسيحية لم يعيشا في زمن واحد جنبا الى جنب ، فقد لفظت الاولى انفاسها قبل ان تولد الاخرى. وقد كتب يوسفس (وهو وليد سنة ٣٧ م كما تقدم) ان الاسيين في عصره كانوا مشتتين في مختلف المدن وانهم في بلاد اليهودية كانوا غير قليل .

وقد تحدث في مذاهبهم وفي آرائهم الخلقية ، ولكنه لم

يعرض البتة الى شيعة او ملة او رهبنة تدعي المسيحية، ذلك ان المسيحية كانت تعتلي السفينة باسم آخر .

هذا وليس في مقدور مسيحي ان يثبت بأدلة من غير تاريخهم المفعم بالاساطير أن ثم امرءا وصف بأنه «مسيحي» قبل عهد تستس سنة ١٠٤ م ، فهو من بين ثلاثمائة كاتب كانوا يعيشون في زمنه ، اول من كتب فذكر شيئا عن المسيح او المسيحية او المسيحيين ، وكان ذلك بعد فترة يسيرة من عهد يوسفس الذي تحدث عن الإسية دون المسيحية كما أسلفنا ، واذن فالمسيحية مولدة من الاسية ، إما بالاصالة او من طريق البوذية . وايا ما كان الامر فليس في الاستطاعة انكار ما بين الديانتين من تشابه فيما يتصل بالعقيدة وروح التشريع وكذلك فيما يتعلق بسير مشايخ كل منهما. وان سبق الإسية في الزمن لينفي عن المسيحية أصليتها وليس الذي يعنينا هنا ان المسيحية كانت قبل تحمل اسما آخر وانما الذي يعنينا ان تعاليمها قدمت الى العالم قبل اليوم الذي اتخذ مبدأ لها ، فذلك يعصف بالقول انها ديانة سماوية جديدة ويهبط بها الى درك الاديان الوثنية الشرقية .

وقد حاول المسيحيون التفرقة بين عقيدتهم وعقيدة الإسيين فكان قصارى ما في جعبتهم ان الاسيين وان آمنوا ببعث الروح لم يكونوا يؤمنون ببعث الجسد وانهم أسقطوا من ديانتهم فكرتي الثالوث وتجسد الاقنوم الثاني . وانهما لحجتان داحضتان .

١ ــ فنحن لم نحط علما بشيء من ديانة الإسيين غير اجزاء منقوصة كتبها فيلون ويوسفس وبليني ولم نطلع على كتاب من كتب الاسيين المقدسة غير العهد الجديد المسيحي .

٢ ــ ثم انه كانت لهم كتب سرية دونوا فيها تفصيل عقائدهم وكانوا يضنون بها على الغوغاء .

«لا تطرحوا درركم قدام الخنازير» (متى ٧:٦) .

ولم يكن بين عقائدهم في ذلك العهد ما هو أشد قدسية واحق

بالسرية من عقيدتي التثليث والتجسد . فأما الان وقد بادت معهم كتبهم المقدسة التي جليت فيها عقائدهم ، باستثناء العهد الجديد ، فصرنا في حال لا نستطيع معها ان نقطع بأن تلك الديانة لم تشتمل على عقيدتي التثليث والتجسد . وانا لنرى اصرافا من هاتين العقيدتين مبعثرة هنا وهناك ، ومن ذلك ان فيلون نفسه ـ وهو معلم إسي ـ كان يلقن تلاميذه تجسد الكلمة الالهية Divine Logos وكان على علم بالفاظ «ابن الله» و«الوسيط» و«الشفيع» و«المسيح» ، ويؤخذ من كتاباته ان الكلمة قد تصير جسدا .

«والكلمة صار جسدا وحل بيننا ...» (يوحنا ١ : ١٤) .

وان ابن الله قد يتمثل بشرا ثم يعود ادراجه الى احضان ابيه.

اما فيما يتصل بالتثليث فقد قرر يوسبيوس ان الإسيين علموا تلك العقيدة ، ومن ثم يخطىء من يقول انهم اغفلوا هاتين العقيدتين الجليلتي الشأن عند المسيحيين .

٧ ـ المسيحية من الوثنية

نرى مما تقدم ان المسيحية تحوي في اضعافها قدرا كبيرا من الوثنية وهي ما تزال الى اليوم موسومة بميسمها (٣٥) .

١ ـ فالمسيحي في وقتنا هذا يعبد الثالوث كما كان أسلافه من البدائيين يعبدون الاوثان .

٢ ـ وهو يدعو إلهه ان يديم عليه حياته ويرعى له اعماله كما كان البدائي يدعوه ان يحرس قطيعه او ان يهيء الاحوال التي تلائم نمو زروعه .

---

٣٥ ـ الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان ويعلم و ـ اسم لاثر الوسم .

٣ ـ وهو يترنم بالاناشيد الدينية ، وكان أسلافه يقيمون الاذكار ويتلون الادعيات ويرددون الابتهالات .

٤ ـ وهو يهب الاموال للكنيسة كما كان أسلافه يسوقون الكباش والثيران ويحملون الزيوت والخمور الى الاوثان .

٥ ـ ويصطنع المسيحيون في تشييد كنائسهم كثيرا من الاساليب التي كان السحرة يصطنعونها ، فلا يدعون أشعة الشمس تنفذ اليهم الا من خلال الواح من الزجاج متعددة الالوان موشاة بالرصاص كيما يتآزر الغبش المصطنع وصوت الارغن الذي يهز نياط القلوب والقدسية المسبلة المكان فيطغي كل اولئك على الحواس فيثير الانفعالات النفسية ويخمد صوت العقل .

٦ ـ وما انفك الكاثوليك الى الان يحتفظون بأساليب العبادة البدائية اذ يحملون المداليات والايقونات منوطة بأعناقهم او ناشبة بثيابهم .

***

وقد اسفرت الموازنة بين المسيحية والوثنية عن ان كل ما تنطوي عليه المسيحية من عقائد ونواميس ومناسك انما هو مستمد من مذاهب الوثنيين القدامى .

ويرجع التماثل بين المسيحية وما سبقها من مذاهب الوثنيين الى عاملين :

أ ـ تماثل خصائص الطبيعة البشرية مهما اختلفت الازمنة والامكنة .

ب ـ تماثل المشاعر والاحاسيس في مختلف الاصقاع عند تماثل الاحوال والاوضاع .

ج ـ نمو الشعور المسمى بالتدين تبعا لذلك في شتى الامصار

نابعا من العناصر العقلية المتعلقة بالعبادة .

٢ ـ التقاء أشياع الملل والنحل المختلفة ، ولاسيما في الاسكندرية وملابسة بعضهم بعضا وتناقلهم الآراء فيما يتصل بعقائدهم وعناية كل شيعة منهم بتنقيح عقيدتها وصبها في قالب جديد مع انتحال ما يروقها في عقائد الشيع الاخرى .

وموجز القول ان الدين المسيحي الحالي ان هو الا لبنات وثنية أعيد بناؤها ، ومن الهين اليسير في الوقت الحاضر ان نرجع كل فكرة في العهدين القديم والجديد الى الاصل الوثني الذي انتحلت منه . فالمسيحية القائمة نتاج بشري يتصف بالمثالب التي كان يتصف بها صانعوه . وقد حال الزعم بأن المسيحية منزلة من السماء دون تنقيحها ، فلم يزل سوس الفوضى العقلية والفساد الخلقي يفت في عظامها حتى تهافتت وأوشكت آن تموت مضروبة بالفالج .

الفهـرس

صدر عن دار الطليعة

في سلسلة «نقد الفكر الديني»

نقد الفكر الديني ـ مع وثائق محاكمة المؤلف والناشر
(طبعة خامسة)

د. صادق جلال العظم

نقد الفهم العصري للقرآن (طبعة ثانية)

د. عاطف احمد

حول الدين

ماركس ـ انغلز

الماركسيون والدين

ميشال فيرّيه

التراث والثورة (طبعة ثانية)

د. غالي شكري

الثالوث المحرم : دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي
(طبعة ثالثة)

بو علي ياسين

مضمون الاسطورة في الفكر العربي (طبعة ثانية)

د. خليل احمد خليل

جدلية القرآن
د. خليل احمد خليل
التوحيد في تطوره التاريخي ـ التوحيد يمان
ثريا منقوش
صلة القرآن باليهودية والمسيحية
ويلهلم رودولف
موسى والتوحيد (طبعة ثالثة)
سيغموند فرويد
المسيح ليس مسيحيا (طبعة ثانية)
جورج برناردشو

صدر عن دار الطليعة

سلسلة «من تراث الماركسية»

في الحركة النقابية (طبعة ثانية موسعة)
ماركس ـ انغلز
تعاليم الماركسية (طبعة رابعة)
انغلز
مجتمع المستقبل
اوغست بيبيل
حول نظرية صراع الطبقات
بليخانوف
النضال النقابي والنضال السياسي
لينين
الشيوعية والشرق
لينين
طريق السلطة
كاوتسكي
تقييم وآفاق الثورة الصينية
تروتسكي

تحرر المرأة العاملة (طبعة ثالثة)
الكسندرا كولنتاي
الماركسية والمسألة الفلاحية
ستالين
اشتراكية أم فوضوية ؟
ستالين
ألف باء الشيوعية : الراسمالية في تطورها وانهيارها (طبعة ثانية)
بوخارين بريوبراجنسكي
أطروحات حول المسألة القومية والثورة الصينية
زينوفييف